

مشترَك. يتّسع لنا الآن – خ.

إذا وجدتَه فأعده مطويًّا.

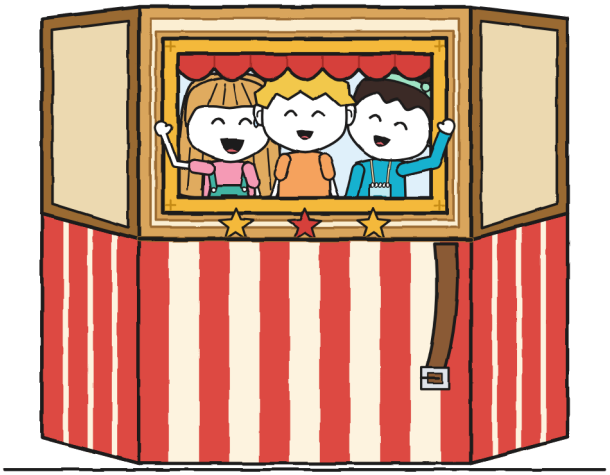
في القصّة فقط

هذا الختم يشير إلى ما يحدث في القصّة فقط: فالستائر الحقيقيّة غير موجودة، والطرود لا تعود طائرة. وللنقل الحقيقيّ، انظر الصفحة الأخيرة. – خ.

توصيلات مستحيلة · 6

مكان لثلاثة

LinguAula



(دفتر غوني)

المقاس XL · رواية مصوّرة · +13

توصيلات مستحيلة · 6
مكان لثلاثة

الكتاب السادس من السلسلة. والكتب السابقة: «هذا الطَّرْد يَعَض» و«لا يُفْتَح قبل الرعد» و«أَعِدْه إلى المُرْسِل، من فضلك» و«ليس هنا، يا فُتاتة!» و«كعكة لاثنين».

النص والرسوم: LinguAula

النسخة العربية: LinguAula

المقاس XL · رواية مصوّرة · +13

الطبعة الأولى: 2026

© 2026 LinguAula · info@linguaula.com

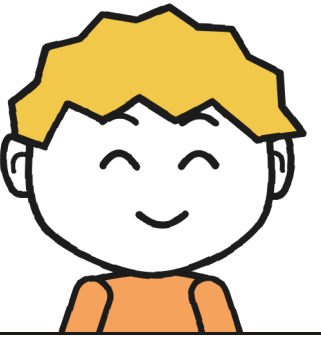
يمكن تصويره بحرّية، للصف وللبيت.

الخطوط: Noto Sans Arabic، Baloo Bhaijaan 2، Aref Ruqaa، Andika، Patrick Hand، Caveat، Courier Prime (رخصة SIL OFL).

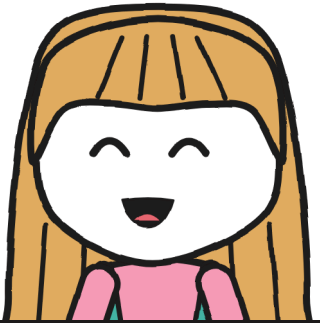
تدرّب على كل فصل في موقع
linguaula.com

هذا يحمله ثلاثة. وأنا اخترت عروتي بالفعل. — خ.

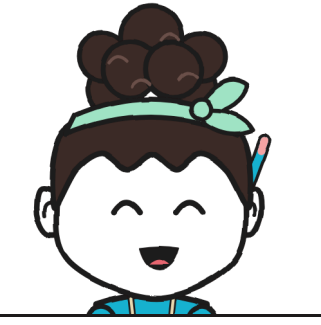
مَن هو مَن



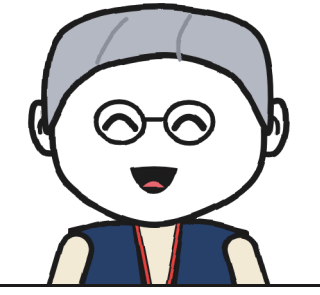
غوني. يقيس بالسنتيمترات. وهذا الأسبوع يعد شيئًا آخر أيضًا.



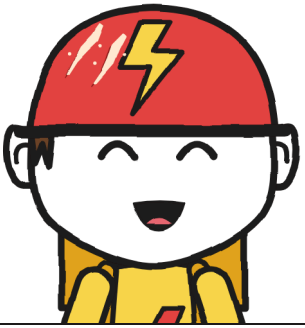
خوليتا. تعرف الطريق. أمّا شرحه فمسألة أخرى.



نوا. صديقة خوليتا منذ زمن. تقيس بالخطوات: وهي تحملها معها دائمًا.



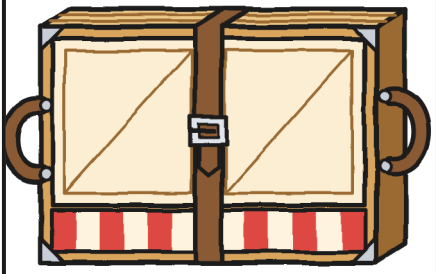
إيرين. تقود ورشة المسرح. لا تقول من أين نمر: تقول «قِف».



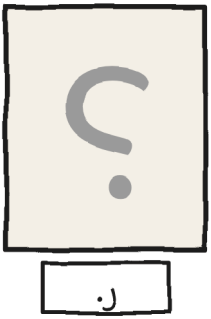
تونيو. من «البرق» ومن المتجر. يحسب الوقت ولا يُبدي رأيًا. تقريبًا.



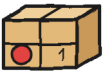
مارا. تُعير الطرد. أمّا الصندوق فلا تتركه.



الطرد رقم 6. مسرح يتّسع له صندوق. وإذا لم يُمسك أحد بالحزام، انفتح حيث يشاء.



ر. المُرْسِل. هذه المرّة تُرك سطر في جرد.



الفصل 1

لماذا يلزم ثلاثة؟

انتهى الدفتر 5 بعقربين على قرص ساعة، وأغلقتُه هكذا، دون أن أطلب من أي منهما أن ينصرف. الدفتر المنتهي يبقى كما تتركه. وهذه ميزته: لا أحد يستطيع بعدها أن يجادل فيه.

والدفتر 6 برتقالي. برتقالي بلون اليوسفيّ، من النوع الذي يُقشَّر دفعة واحدة إن لم تكن مستعجلًا، وعليه أيضًا ختم المتجر في إحدى الزوايا. تركته مارا على المنضدة، بجانب الوردي، ومضت إلى الغرفة الخلفيّة لترتّب صناديق كانت مرتّبة أصلًا. مارا لا تعطي الدفاتر: تتركها حيث ستنظر.

عندي تقليد للصفحة الأولى. في الدفتر 2 كتبت «رسمي»، وفي الثالث «سرّي»، وفي الرابع «نهائي»، وفي الخامس «هادئ». أربع كلمات ذات أقفال، وقد قرأتها خوليتا كلّها قبل أي أحد، وأنا منهم. هذه المرّة بحثت عن كلمة تحسب حساب ذلك سلفًا.

كتبت في الأعلى دفتر التوصيل 6 · لِغوني، وهذا ما يُكتب. وتحته كلمة واحدة:

مشترَك.

وتركت نصف صفحة فارغة، تحسّبًا. لم أكن أعرف تحسّبًا لماذا. وعرفت حالًا: لم تبق فارغة دقيقة واحدة.

كانت خوليتا على الجانب الآخر من المنضدة. لم تطلب منّي الدفتر؛ جذبته بإصبع، وفتحت غطاء القلم الأخضر العريض وكتبت في نصف الصفحة بخط كبير جدًّا بلغ الهامش، ففكّرت قليلًا وواصلت على الهامش. ثم أغلقت القلم بوجه «لم أكن أنا»، وهو وجه صار في ذلك المتجر ملكًا للجميع.

أنا شاركت الصفحة الأولى بخطّي. – غ.

قِست ما شغلته: النصف السفلي كلّه. أمّا كلمتي، بكل الهواء الذي تركته حولها، فشغلت النصف العلوي. نصفان. بدا لي ذلك قسمة معقولة جدًّا.



هذا ما جرت عليه العادة، لمن يصل إلى هذا الدفتر دون أن يمر بالدفاتر الأخرى. اسم المتجر «توصيلات مستحيلة»، وهو لمارا، وهي ساحرة، تضع قبّعة بنفسجيّة، ولها ختم يُطلق عند الضغط عليه شرارات برائحة شمعة مطفأة. وعلى الرف الأيسر تحفظ المُرْتَجَعات: طرودًا لم ينجح أحد في تسليمها، أرسلها كلّها ر. وإذا لم يوقّع مَن يستلم الطرد على البطاقة بحبر لا يُمحى، فعند الفجر يعود الطرد طائرًا إلى رفّه. كانت عشرين. وقد سلّمنا أنا وخوليتا خمسة: بيضة تنّين، وبذورًا بأرجل، وجرسًا صغيرًا، وفريق وصول، وحاملًا لمخبز إليسا. وعلى الجدار، بخط أخضر، مكتوب المتبقّي 15. أمّا تونيو، من «البرق»، فمكانه صندوق مقلوب بجانب المقاعد الصغيرة. في الوقت الحالي.

يوم الاثنين، في اليوم التالي لرسالة إليسا، خرجت من المدرسة وذهبت مباشرة إلى المتجر. كانت خوليتا تنتظرني عند المنضدة وفي يدها ظرف. لم يكن أخضر ولا أزرق، وهما لونا الظرف اللذان أعرفهما. كان فيروزيًّا، ومغلقًا. كانت تمسكه بإصبعين، من زاوية، كأنّه يحرق.

–جاء به ساعي البريد. مكتوب عليه «إلى متجر توصيلات مستحيلة». لي مدّة لم أفتحه.

–كم مدّة؟

–ثمان وعشرون دقيقة –قال تونيو من صندوقه، وهو ينظر إلى الساعة–. رقم قياسي في الحي.

كان يضع الخوذة داخل المتجر، وعليها خدشا المخلب، والساعة فوق كمّه، كي لا يضيّع وقتًا في شم الكم.

أعرف خوليتا. الظرف المغلق في يديها يدوم بقدر ما تحتاج إلى إيجاد لسانه. ثماني وعشرون دقيقة لم تكن صبرًا. كانت شيئًا آخر، ولم أعرف ما هو.

لم يكن لي. الظروف التي ليست لي تزن ثلاثة أضعاف. – خ.

فتحته مارا بظفر، دون أن تمزّق من الورق أكثر ممّا يلزم. كانت الرسالة بخط واضح، خط شخص بالغ، من الخطوط التي لا تلتوي في آخر السطر:

«أنا إيرين، المسؤولة عن ورشة المسرح في مركز الحي. عند تحديث الجرد وجدت سطرًا: "مسرح صغير قابل للطي: بانتظار الاستلام". هل هو لديكم؟ السبت 31 هو مسابقة الحي. إذا وصل المسرح الصغير مطويًّا إلى فنائنا، يحمله فريق من ثلاثة،

فسأوقَع عليه هناك في الحال. في فريق نوا مكان لثلاثة، وفي الوقت الحالي ليست فيه سواها.»

وتحتها، بخط آخر، صغير ومستقيم، بالفيروزي:

«خوليتا: هذه أنا! أعمل الآن بالمسرح. أحضِر معك شخصًا يفهم في الطرود. –نوا».

قرأت خوليتا التوقيع فارتفع جانب فمها، جانب واحد فقط، كما حين تتذكّر شيئًا لا تنوي أن تحكيه. وقالت «نوا» بصوت خافت، كما يُقال اسم شارع مررت به ألف مرّة.

«شخص يفهم في الطرود». هذا أنا. أعجبتني كلمة «الطرود». أمّا كلمة «شخص» فأقل.



في الخامسة جاءت الاثنتان.

كان مع إيرين ملف وصدريّة كحليّة مليئة بالجيوب وصفّارة معلّقة في عنقها. وكان شعرها قصيرًا رماديًّا، وعلى عينيها نظّارة مستديرة، وبها جالت في المتجر رفًّا رفًّا، كمَن يجرد دون أن يطلب منه أحد. وكان مع نوا دفتر صغير معلّق بحبل وقلم رصاص فيروزي خلف أذنها. وشعرها مرفوع في عقصة عالية من الخصلات المجعّدة، مشدودة بمنديل أخضر نعناعيّ؛ وكنزتها فيروزيّة، مثل الظرف. وكل شيء فيها يبدو موضوعًا في مكانه كي لا تضطر إلى البحث عنه.

خرجت خوليتا من خلف المنضدة دون أن تفتح الباب الصغير، من تحته، وتعانقتا. تعانقتا مدّة طويلة حتّى إنّه كان لدي وقت لأقيسها: إحدى عشرة ثانية. وبقيت أنا جانبًا مع الدفتر. فالدفتر ينفع لهذا أيضًا: ليكون في اليدين شيء.

–هذا غوني –قالت خوليتا–. يفهم في الطرود.

–أهلًا يا غوني الذي يفهم في الطرود –قالت نوا. ودوّنت اسمي في دفترها.

دوّنته كاملًا، مع الكنية التي وضعتها لي للتو. ومن مكاني رأيت أنّني السطر الثاني في الورقة. وكان الأوّل «خوليتا»، وتحته خطّ، مثل الأشياء المنتهية.



صعدت مارا إلى المقعد الأزرق الصغير وأنزلت من رفّها الطرد رقم 6. صندوق مثل كل الصناديق، لا أكبر ولا أصغر. وعلى البطاقة خمسة أسطر مطبوعة بالآلة: رقم 6. ورشة الفناء. الدخول من البابين. يُسَلَّم مطويًّا. وفي الأسفل، كالعادة، المُرْسِل: ر. وحولها تسعة أختام «مُرْتَجَع».

–تسعة أختام –قالت خوليتا.

–«البابان» –قرأت نوا–. أي بابين؟

لم تكن إيرين تعرف. ولا مارا. وأنا دوّنت ذلك بعلامة استفهام، وهذا ما أدوّنه حين لا أعرف شيئًا وأريد أن يُسجَّل أنّني انتبهت.

–أخذتُه تسع مرّات –قالت مارا–. أيّام الاثنين كانت تفتح لي الخياطة. وأيّام الأربعاء، الجوقة. وأيّام الجمعة، الشطرنج. «الورشة؟ ليست هنا.» لم يكن أحد يوقّع باسم ورشة.

رسمت ذلك وهي تتكلّم، في ثلاث لوحات: مارا، والصندوق تحت ذراعها، أمام الباب نفسه، وفي الباب، بالتناوب، إبرة بخيط، ونوتة موسيقيّة، وحصان شطرنج، ولم يقل شيئًا لأن الصمت هو الأصل في الشطرنج. وتحتها الصندوق يدخل من نافذة المتجر عند الفجر. تسع مرّات.

–المسرح يتدرّب في الفناء –قالت إيرين–. وفي الفناء لا يوجد جرس.

فتحت الملف وأرت مارا ورقة عليها ختم المركز. وقرأتها مارا وأنفها قريب جدًّا، وهكذا تقرأ ما تنوي أن تأخذه بجد.

–هي الآن في السجل: «ورشة المسرح. المسؤولة: إيرين». عن ورشة يوجد الآن مَن يوقّع.

–والآن وقد وُجد مَن يوقّع، لماذا لا تحمله مارا في صندوقها، مثل حامل إليسا؟ –سألت خوليتا.

–في صندوقي حملتُه تسع مرّات –قالت مارا–. والآن الشروط يضعها مَن يستلم.

–المسرح الصغير القابل للطي يُصنع ليُحمل إلى الساحات –قالت إيرين–. أريد أن أرى أن أطفالي يستطيعون حمله في الشارع. إذا لم يستطيعوا، فلا يناسبني. ولا أوقّع على ما لا يناسبني.

–هذا سبق أن سمعتُه في مخبز –قالت مارا.

كان عندي سؤال منذ أن قرأت الرسالة، وسألتُه قبل أن يُستنفد.

–ولماذا يلزم ثلاثة؟

سألت بصدق. رزمة بعروتين؛ شخصان، كل واحد عند عروة. كنت قد عددتُها على أصابعي وخرج الناتج اثنين.

لم يضحك أحد. نظرت إلي إيرين من فوق نظّارتها، كما يُنظر إلى قطعة تتّسق أفضل ممّا بدت.

–سؤال جيّد. يوم الثلاثاء، في الفناء، تجيبونني أنتم عنه.

فتحت مارا كتابها ودوّنت شروطها. وشروط مارا تتّسع دائمًا لكف واحدة؛ عددتُها بكفّي وزاد الإبهام:

- الطرد رقم 6: مُعار للتمرين.
- يخرج مع إيرين أو معي.
- يعود مطويًّا.
- ينام هنا.

والبطاقة تبقى في الصندوق، والصندوق، عند مارا.

إن نام على رفّه، فعند الفجر لن يكون لديه مكان يعود إليه. ما زال عند تسعة أختام. وسألت. – خ.

يوم الثلاثاء ذهبنا إلى فناء مركز الحي. يُدخَل إليه من الرصيف عبر بوّابة حديديّة عليها طبقات كثيرة من الطلاء، وتُغلق وحدها: تتركها فتعود، ببطء، حتّى تُصدر نقرة، مثل كلب يجلس دون أن يأمره أحد.

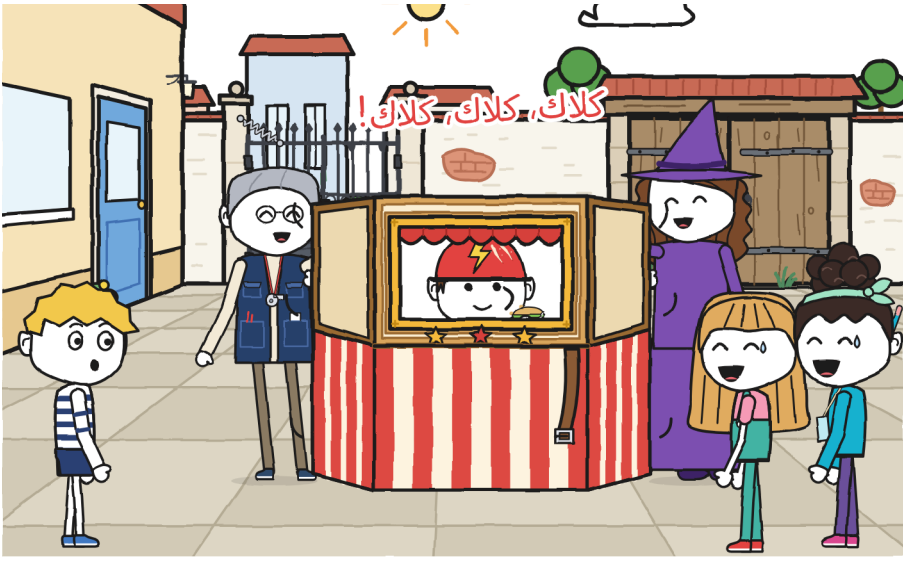
وضعت مارا الصندوق على الأرض وفكّت الغطاء. وعند خروجه كبر المسرح الصغير، مثل حامل إليسا. أنا لم أعد أخاف: أُخرج الشريط.

كان وهو مغلق رزمة مسطّحة من ألواح الخشب والقماش، بعروة على كل جانب وحزام يمر في إبزيم بثلاثة ثقوب. متر في سبعين سنتيمترًا، وعلى جانبه شِبر. والبوّابة، ومصراعها مفتوح، تسعون سنتيمترًا. على جانبه كان يمر من البوّابة. وهذا كان الجزء السهل.

قبل أي شيء أرادت إيرين أن ترى هل هو سليم. فكّت الحزام وأدارت الرزمة. فانفتحت الألواح وحدها بثقلها، واحدًا بعد آخر: كلاك، كلاك، كلاك. مسرح بثلاثة جدران وستارة قصيرة ونافذة بإطار في اللوح الخلفي.

ومن النافذة كان يُرى تونيو وهو يمر على الرصيف ومعه شطيرة. كان فمه ممتلئًا. لم يستطع أن يحيّي. وبقي واقفًا لحظة، محاطًا بالإطار، والخوذة على رأسه وإحدى وجنتيه أكبر من الأخرى، مثل صورة شخص مهم رُسمت في وقت الغداء.

—إنّه سليم —قالت إيرين—. قاعدة الورشة: اليدان على العُرى. وعلى المفصّلات، أبدًا. وعند الانعطافات يمسك أحدهم بالحزام.



دوّنتُها كما هي.

طوت إيرين ومارا المسرح وربطتا الحزام.

–نجرّب نحن –قالت خوليتا. كانت نوا قد صارت عند العروة الأخرى.

لم تتبادلا النظر لتقرّرا. ولم تقولاها حتّى: ذهبت كل واحدة إلى جانبها كما يُذهب إلى الكرسي المعتاد.

عدّتا حتّى ثلاثة ورفعتاه. استطاعتا. دارتا دورة في الفناء، ببطء، والمرفقان مفتوحان قليلًا، وكان المسرح الصغير يسير بينهما دون أن يتأرجح، مثل صينيّة حُملت جيّدًا. ووصلتا إلى البوّابة. كانت البوّابة مغلقة.

نظرت إليها خوليتا. ونظرت إليها نوا. كان لديهما أربع أيدٍ، وكانت الأربع مشغولة.

وكنت أنا على بعد مترين، ويداي حرّتان، ومعي دفتر.

وإيرين، في الخلف، والملف على صدرها، لم تقل شيئًا. لا «ساعده» ولا «أنت».

أمسكت البوّابة بظهري. فمرّتا. ودوّنت إيرين شيئًا في الملف.



في ذلك العصر اخترعت الجهاز الذي في هذا الدفتر. هو الخامس في مسيرتي، بعد مقياس الارتجاف ومقياس الاحمرار ومقياس «هنا» ومقياس الضجيج، والأوّل الذي لا يقيس شخصًا واحدًا بل عدّة أشخاص معًا. سمّيته مقياس الثلاثة، «مَن يفعل ماذا في كل مقطع». صف لكل مقطع وثلاث خانات، ولكل منها رسم صغير:

- الحمل: يدان على عروتين.
- التوجيه: قول من أين ومتى.
- فتح الطريق: أبواب وحواف رصيف وناس.

في الصف الأوّل، «الفناء، المحاولة الأولى»، وضعت «خوليتا ونوا»، و«خوليتا ونوا»، وخانة فارغة. وفي الثاني، «الفناء، المحاولة الثانية»، الشيء نفسه، لكنّي وضعت في الخانة الثالثة «غوني».

اسمان مكرّران وخانة فارغة: لا يمر. وبخانة ممتلئة، يمر. صارت عندي الإجابة لإيرين، وكانت إجابتي.

ودوّنت شيئًا آخر، أصغر: «البوّابة يمكن أن يمسكها حجر أيضًا».

كتبتُها بالقلم الرصاص دون أن أضغط تقريبًا.

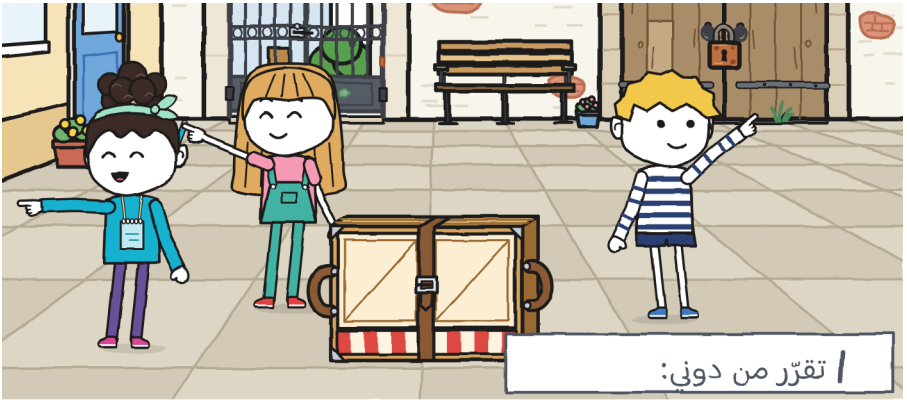
بقي أن نفهم البطاقة.

–البابان هما مصراعا البوّابة –قالت خوليتا.

–يجب فتحهما معًا –قالت نوا.

–يمكننا أن نقيس السور من الخارج أوّلًا –قلت أنا.

أشرنا نحن الثلاثة في وقت واحد. خوليتا إلى البوّابة. ونوا إلى قاعة الورشة. وأنا إلى الشارع.



–بعد ذلك –قالت الاثنتان.

قالتاها معًا وبالنغمة نفسها، كأنّهما تدرّبتا عليها. وقد تدرّبتا، على ما أظن. سنوات.

ذهبت وحدي. خرجت من البوّابة، التي أُغلقت خلفي بنقرتها، ودُرت حول السور أقيس بالشريط، مقطعًا مقطعًا، وأدوّن كل رقم في الدفتر مسنودًا على ركبتي. كان السور طويلًا ويطل على زقاق برائحة ماء راكد. وهناك، عند المنعطف، وجدت شيئًا.

عدت مسرعًا، والشيء في رأسي والشريط لم ألفّه بعد، أجر مترًا أصفر على الرصيف. وحين دخلت كانت خوليتا ونوا تضحكان من شيء حدث قبل أن آتي إلى الحي. كانتا تضحكان بكتفيهما، دون صوت، وكانت نوا تلمس ذراع خوليتا لتتوقّف، وخوليتا لا تتوقّف.

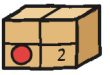
فتحت فمي.

–قد تقرّر الأمر، يا غوني –قالت خوليتا–. هما المصراعان.

وفي زاوية الصفحة السفلى، صغيرًا وبالقلم الرصاص، كتبت: تقرّر من دوني. وبجانبها شَرطة. كتبتُها وفمي ما زال مفتوحًا.

أغلقت فمي. والدفتر.

هذه الشَّرطة رأيتُها بعد يومين. كانت لي. – خ.



الفصل 2

مَن يعرف الطريق؟

كان يوم الأربعاء موعد أوّل مسير: من المتجر إلى الفناء، في الشارع، والمسرح الصغير على أيدينا والناس تنظر. قضيت حصّة العصر أرسم المقياس على هامش ورقة، بصف جديد وخانات فارغة، لنملأها نحن الثلاثة معًا.

حين وصلت إلى المتجر كان المقياس قد مُلئ. بالأخضر.

كانت خوليتا قد فتحت دفتري على صفحة الجهاز وأضافت الصف بخطّها الإعلاني: «المتجر ← الفناء». في خانة الحمل كتبت «غوني ونوا». وفي خانة التوجيه، «خوليتا». وفي خانة فتح الطريق، «خوليتا» مرّة أخرى. وكان القلم ما زال فوقه، مكشوف الغطاء، مثل دليل لم يتعب أحد في إخفائه.

–أنت ونوا تحملان –قالت خوليتا–. أنا أوجّه، فأنا أعرف الطريق. وبما أنّي في المقدّمة، أفتح الطريق.

–فكّرنا في هذا ونحن قادمتان –قالت نوا.

لم تقلها لتفوز. قالتها كما يُعطى عنوان: لأنّها حقيقة. كانتا قادمتين معًا من مكان ما، وفكّرتا في الطريق. أمّا أنا فقد فكّرت في الشيء نفسه على هامش ورقة، وهذا لا يُحسب مجيئًا.

ما يُكتب بالأخضر لا يُمحى. الشّرطة الثانية.



–قبل أن نخرج يمكننا أن نرسم مخطّطًا –قلت–. بالانعطافات مرقّمة.

كان نصفه جاهزًا في رأسي: باب المتجر، وحافّة الرصيف، ومحل الأحذية، والساحة الصغيرة، والانعطافات برقمها داخل دائرة، مثل محطّات القطار.

–لا حاجة إلى مخطّط –قالت خوليتا–. كلّه مستقيم حتّى السمكة العرجاء.

انفجرت نوا ضاحكة. وخوليتا أيضًا. لم تكن ضحكة صغيرة: من النوع الذي يبدأ عند واحدة ويعدي الأخرى قبل أن تنتهي الأولى، ثم يعود، ولا يعود أحد يعرف مَن تحمله.

–أي سمكة؟

–السمكة العرجاء هي السمكة العرجاء –قالت نوا، وهي ما زالت منحنية.

–قصّة طويلة –قالت خوليتا.

–وممتازة –قالت نوا.

انتظرت. كان قلمي في الهواء، جاهزًا لتدوين القصّة، لعلّها تنفع الطريق. لم يحكيا لي. هدأتا شيئًا فشيئًا، تجفّفان عينيهما بالكمّ، وكلّما نظرت إحداهما إلى الأخرى عاد إليهما قليل منه، مثل الفُواق.

أنزلت القلم. الشَّرطة الثالثة.

أخرجت مارا المسرح الصغير من صندوقه عند باب المتجر، على الرصيف، وبقي الصندوق في الداخل ببطاقته وأختامه التسعة. وشدّت نوا الحزام في الثقب الأوّل.

–هكذا ينفك أسرع حين نصل.

كان سببًا جيّدًا. دوّنتُه: «الثقب 1: ينفك أسرع». ولم أدوّن الباقي، لأن الباقي لم أكن أعرفه بعد.

كنت في المقدّمة ونوا في الخلف، لكل منّا يد على عروته. في المقدّمة يُرى الشارع. وفي الخلف لا يُرى إلّا المسرح الصغير: متر من الخشب وقماش مرسوم على بعد شِبر من الأنف، كأن تمشي خلف خزانة. وكانت نوا تضع يدها الأخرى قرب الحزام، عادة أو بحسب قاعدة إيرين، وتعد بصوت منخفض. تعد الخطوات. كنت أسمعها من الأمام: «... واحد وعشرون، اثنان وعشرون...»، بالنبرة التي يدندن بها غيرها.

وكانت إيرين تأتي الأخيرة، بالملف والصفّارة. لا تقول من أين. تقول «قِف» حين تكون هناك حافّة رصيف. تقولها مرّة واحدة دون أن ترفع صوتها، فنتوقّف، فيبدو أن الشارع كلّه قد توقّف معنا.

وكانت خوليتا تفتح الطريق بمهارة. تسير بضع خطوات في المقدّمة، إلى الخلف، وتحرّك ذراعيها كمَن يركن شاحنة.

–طريق! مسرح قادم!

خرجت صاحبة محل الأحذية إلى الباب لتنظر، وفي يدها حذاء نصف مربوط. وانتظر رجل معه كلب في مدخل بناية؛ وانتظر الكلب أيضًا، وهذا أصعب. وبعيدًا، في الجهة الأخرى من الحيّ، رن جرس صغير. رن.

–«البرق» يتدرّب على مسابقته –قالت نوا–. يسيرون بالدرّاجات، ومعهم ظرف. ونحن نسير على الأقدام، ومعنا هذا.

–مع هذا لا يُركض –قالت إيرين.

كان تونيو قد حكى لي ذلك يوم الاثنين: عند كل محطّة من محطّات «البرق» يجب أن يصل الثلاثة معًا، وإلّا لا يُحتسب. دوّنتُه حينها دون أن أعرف لماذا.



وصلنا إلى ساحة النافورة. هي مستديرة، حولها مقاعد وحمام لا يتنحّى لأحد. التفتت خوليتا وصاحت بالتوجيه وركضت نحو الوسط، لتمسك البوّابة.

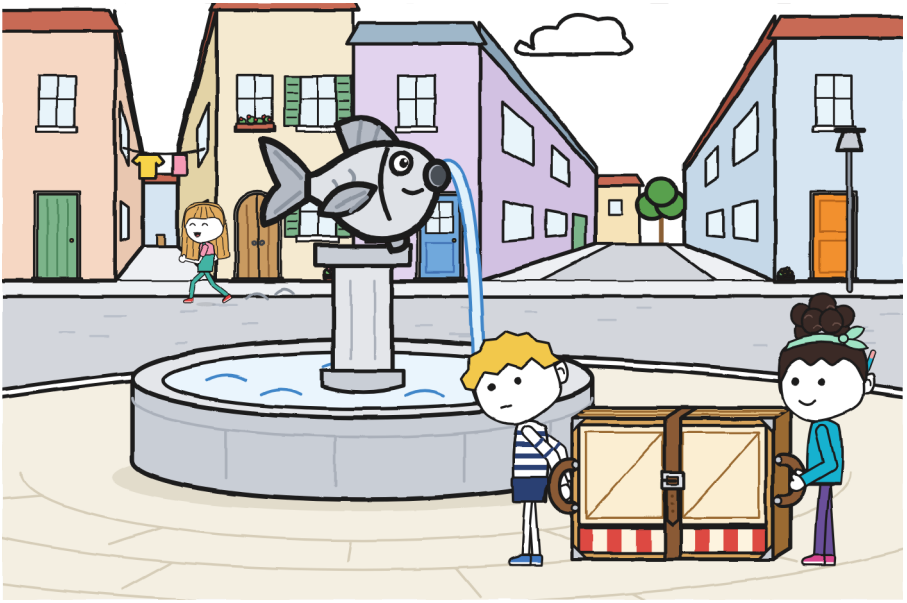
–حتّى السمكة العرجاء ثم انعطفوا!

ولم تعد هناك. ظهرت صدريّتها لحظة بين شخصين ثم لا شيء.

في وسط النافورة سمكة من حجر، فوق عمود قصير، فمها مفتوح كأنّها ستقول شيئًا ثم أعادت التفكير. نظرت إليها جيّدًا. من جهتي كانت لها كل الزعانف.

فكّرت بسرعة، وهذا ليس من عادتي. عادتي أن أفكّر ببطء ومعي مسطرة. لكن المسرح الصغير كان ثقيلًا، ونوا في الخلف لا ترى شيئًا، والشارع يواصل السير حولنا. أسندت الدفتر إلى العروة وكتبت سطرين:

1. سمكة النافورة: الزعانف ظاهرة، كلّها. ليست عرجاء. لا بد من سمكة أخرى.
2. الانعطاف: إلى أي جهة؟ اليسار، شارع ضيّق. اليمين، شارع واسع. المسرح الصغير يسير أفضل فى الواسع.



وتحتهما سهم غليظ نحو اليمين. كان استدلالًا لا غبار عليه. وكل ما فيه من خطأ هو بدايته.

–أنعطف الآن؟ –سألت إلى الخلف.

–عند السمكة العرجاء! –قالت نوا من خلف المسرح الصغير.

لم تكن نوا ترى سوى الخشب. ومن هناك كانت السمكة العرجاء كلمة، والكلمة قيلت جيّدًا.

واصلت البحث عن سمكة أخرى. نظرت إلى المداخل واللافتات، وإلى محل أسماك تبيّن أنّه محل أدوات. لم تكن هناك. انعطفت يمينًا.

لم يقل أحد «انعطاف». ولم يمسك أحد بالحزام. وفي الثقب الأوّل لا يتحمّل الإبزيم كثيرًا.

كلاك. كلاك. كلاك.

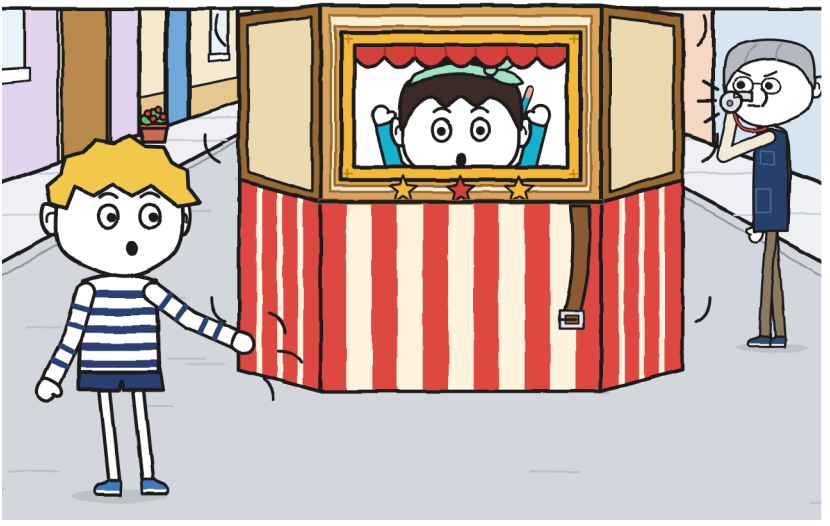
انفتحت الألواح ببطء، واحدًا بعد آخر، حول نوا، مثل أوراق خرشوفة يفتحها أحدهم من الداخل. نفخت إيرين في الصفّارة. وحين انقطع الضجيج كان في وسط الشارع مسرح. وفي داخل المسرح، نوا.

–مرحبًا –قالت من النافذة.

كانت يداها مرفوعتين، بعيدًا عن المفصّلات، كما قيل لها. والحزام متدل حتّى الأرض. وكنت ما زلت ممسكًا بعروتي، التي لم تعد عروة لشيء: صارت حافّة مسرح.

نظرت إيرين إلى يدي نوا. ثم إلى يدَي. نظرت بجدّ، إصبعًا إصبعًا، من الجهتين. كانت كلّها سليمة: الألواح خفيفة وتنفتح ببطء.

كلاك، كلاك، كلاك!



–مَن كان يوجّه؟ –سألت.

لم يجب أحد. فمَن كان يوجّه كان يمسك بوّابة، على بعد شارعين.

طويناه، إيرين وأنا، واليدان على الأعمدة، دون استعجال، لوحًا لوحًا. وشدّت نوا، وقد خرجت، الحزام، وشدّته هذه المرّة مرّتين. وفي الأثناء قِست: من قدمي إلى النافورة، أربعة أمتار. دوّنتُها والشريط ما زال ممدودًا على الأرض، من حذائي إلى حافّة الحجر.



عادت خوليتا ركضًا.

–لكنّه كان عند السمكة العرجاء!

–أي سمكة عرجاء؟

–تلك! –أشارت إلى النافورة–. إلى اليسار. كالعادة.

–«كالعادة» هي قبل أن أصل أنا.

لم أقلها غاضبًا. قلتُها كما يُصحَّح تاريخ. بقيت خوليتا وذراعها ممدودة نحو النافورة ثانية زائدة، ثم التفتت إلى إيرين، التي كان ملفّها مفتوحًا.

–لأن غوني تاه.

لم أكن قد تُهت. كنت أعرف بالضبط أين أنا: على بعد أربعة أمتار من النافورة. وقد قِستُها للتو.

كانت نوا تنظر إلينا واحدًا واحدًا، ودفترها الصغير مغلق على كنزتها. ودوّنت إيرين شيئًا. ولم تقل ما هو.

وهذا أيضًا قرّروه من دوني. الشَّرطة الرابعة.

قلتُها بصوت عال وأمام الناس. أعرف. — خ.



أرَوني الجهة الأخرى من السمكة. دُرنا حول النافورة نحن الثلاثة، والمسرح الصغير مطوي بين نوا وبيني، وإيرين خلفنا. تنقصها زعنفة، اليسرى. ومن الجهة التي يُوصَل منها عبر شارع المتجر لا تُرى: تعطيك السمكة جانبها الجميل، مثل الذين يقفون للصور. ولتراها يجب أن تعرف أنّها غير موجودة.

رسمتُها من الجهتين، جنبًا إلى جنب. السمكة نفسها، سمكتان.

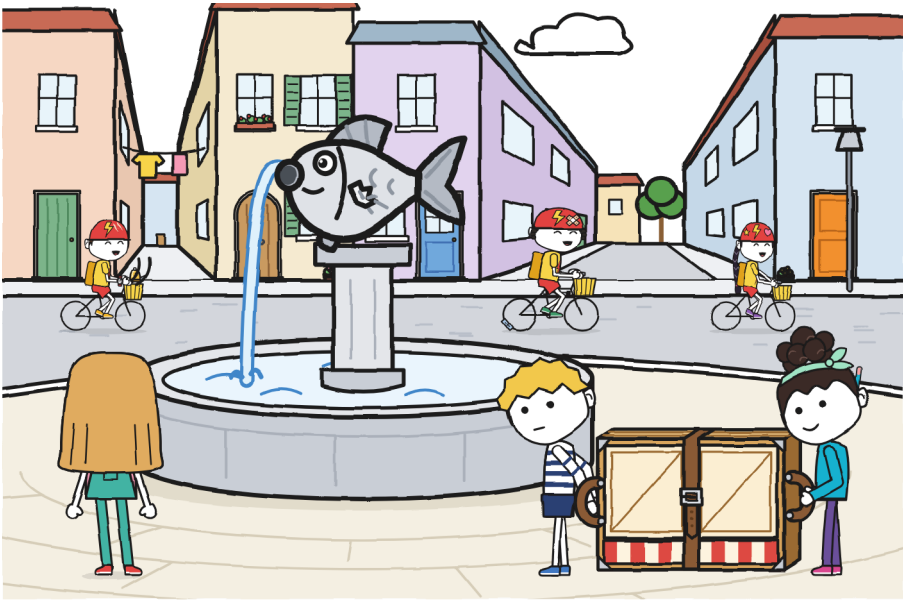
أعدنا الانعطاف. رجعنا بضعة أمتار إلى فم الشارع وفعلناها مرّة أخرى، وخوليتا هذه المرّة بجانبي. في الأولى قلت «انعطاف» مبكّرًا جدًّا، فأمسكت نوا بالحزام أمام مدخل بناية، دون جدوى. وفي الثانية، متأخّرًا جدًّا: ونصف المسرح الصغير داخل المنعطف ونوا تبحث عن الحزام بيدها. وفي الثالثة نجحت. نجحت جيّدًا، دون كلاك. لكن أحدًا لم يتكلّم. ولا خوليتا، التي تتكلّم دائمًا.

وعندها مر «البرق» على الطريق: زوي وبرونو وتونيو، في صفّ، واليدان على المقود. رن الجرس في الزاوية. زوي في المقدّمة وضفيرتها في الريح؛ وبرونو في الوسط والظرف في السلّة؛ وتونيو الأخير، وإصبعه على الجرس. دارت الدرّاجات حول النافورة دون أن تتوقّف ودون أن تتلامس، على المسافة نفسها بين كل واحد وآخر طوال الوقت، مثل عقربَي ساعة لا يتلاقيان أبدًا.

—المحطّة الأولى، من أوّل مرّة —قال تونيو وهو يمر.

لم يقلها من أجلنا. تونيو يعلن المعلومات بصوت عال حتّى لو لم يكن هناك مَن يسمعها؛ وهذا ما يجعله من «البرق». لكنّنا سمعناه.

كانت ذراعا خوليتا متدلّيتين. وذراعا خوليتا لا تتدلّيان أبدًا: تذهبان وتأتيان وتشيران وتفتحانِ الطريق. في ذلك العصر، وجرس الدرّاجات يبتعد، كانتا معلّقتين على الجانبين مثل عروتين بلا مسرح.



وصلنا إلى الفناء والليل يكاد يحل. في المقطع الأخير لم يلزم توجيه: كانت البوّابة في مرمى النظر. أمسكتها خوليتا بيدها ولم تقل «الطريق!». كانت مارا تنتظرنا في الداخل. وضعت المسرح الصغير في صندوقه وحملته إلى المتجر، لينام على رفّه.

دوّنت ما جرى اليوم في المقياس، تحت الصف الأخضر، وأضفت عمودًا جديدًا، ضيّقًا، بالقلم الرصاص: «انفتح · تكرّر 3 مرّات». كانت الخانات الثلاث لها أسماء، ومع ذلك انفتح مسرح علينا في الشارع. كان ينقص المقياس شيء. لم أعرف ما هو. رسمت بجانبه علامة استفهام كبيرة، من الحجم الذي أضعه حين يكون السؤال ليس عن الحي بل عن الجهاز.

اسمي يرد مرّتين في ذلك الصف. ولم أكن في أي منهما. — خ.



في البيت، بعد العشاء، جلست إلى المنضدة والمصباح مضاء وفتحت الدفتر على الصفحة الأخيرة.

رسمت هناك ما وجدتُه يوم الثلاثاء خلف السور. بعناية، بالمسطرة، وبالأمتار التي دوّنتُها وأنا أسند الدفتر إلى ركبتي. خرج جيّدًا جدًّا. خرج جيّدًا إلى حد أنّي نظرت إليه مدّة والقلم ساكن.

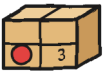
أطلّت أمّي برأسها من الباب لتتمنّى لي ليلة سعيدة. وكانت يدي حينها فوق الرسم. تمنّتها لي، ونظرت إلى يدي، ولم تسأل وأغلقت الباب.

غطّيتُه بيدي مع أنّي كنت وحدي. وكان من أحد الجوانب يظهر قطعة من السور ونصف قفل.

فكّرت: «غدًا سيخطئون مرّة أخرى. وعندها أُخرجه».

بدت لي خطّة جيّدة. كان لها موعد وكل شيء.

هذه الصفحة قرأتُها يوم الخميس. لم تعجبني. و صفحتي من الأربعاء أيضًا لم تعجبني. — خ.



الفصل 3

هل يصلح مخطّط غوني؟

في تلك الليلة، حين تعبت يدي من التغطية، رسمت المخطّط كاملًا.

الفناء من الأعلى، كما تراه الحمامات. والسور مقيسًا مقطعًا مقطعًا، بالأرقام التي دوّنتُها يوم الثلاثاء على ركبتي. والبوّابة، بسهمها «تنغلق وحدها». والنافورة، والسمكة مرسومة من جانبها السيّئ، كي لا تخدع أحدًا مرّة أخرى. والمتجر، في زاوية، صغيرًا. والمقاطع الثلاثة، مرقّمة داخل دائرة. وخلف السور، ما وجدتُه يوم الثلاثاء.

خرج مخطّطًا جيّدًا جدًّا. من أفضل ما رسمتُ، وقد رسمت كثيرًا. نظرت إليه مدّة والمصباح مائل كي لا يُلقي القلم ظلًّا. ثم طويتُه أربع طيّات، أضغط الثنيات بظفري، ووضعتُه داخل الدفتر بين صفحتين لا علاقة لهما بشيء.



يوم الخميس، في المتجر، كانت نوا تعد.

كانت على الرصيف، أمام الواجهة، تمشي نحو حافّة الرصيف بخطوات طويلة كلّها متساوية، دون أن تنظر إلى قدميها. كانت

تنظر إلى الأمام، إلى حيث تذهب، وتحرّك شفتيها.

–من الباب إلى حافّة الرصيف، ست خطوات. ومن الحافّة إلى عمود الإنارة، إحدى عشرة.

–هذا يُقاس بالشريط –قلت.

–أنا أقيس بالخطوات. أنا أحملها دائمًا.

فكّرت في الأمر. كان صحيحًا: الشريط يجب إخراجه ومدّه وتثبيته بالقدم، ثم يلتف وحده ويعض إصبعك. أمّا الخطوات فلا تُنسى في البيت.

–كم تساوي خطوتك؟

–واحدة.

قِست لها خطوة. مددت الشريط على أرض المتجر وخطت نوا فوقه خطوة طويلة من خطواتها، دون تفكير، مثلما يوقّع المرء. انحنيت لأقرأ العلامة: ثمانية وخمسون سنتيمترًا. دوّنتها هي في دفترها. وأنا في دفتري. وكان الخطّان يقولان الشيء نفسه: «خطوة نوا = 58 سم».

–وخطوتك أنت؟ –سألت.

لم أكن أعرف. قِست نفسي. خطوت فوق الشريط خطوة عاديّة، من التي أمشيها إلى المدرسة، وانحنت نوا لتقرأها، لأنّي من فوق لا أصل إليها دون أن أحرّك قدمي: واحد وخمسون سنتيمترًا. دوّنتها هي أيضًا. وأنا أحمل خطواتي طوال عمري ولم أعدّها قط.

كانت خوليتا تنظر إلينا من خلف المنضدة وذراعاها معقودتان وحاجب مرفوع، كمَن يرى ساعتين تشيران إلى الوقت نفسه.

كنت أظن أن نوا ستكون خوليتا أخرى. ليست كذلك. نوا تعد.



ذهبنا إلى الفناء مع إيرين. أرادت خوليتا ونوا تجربة فكرتهما: فتح مصراعَي البوّابة.

المصراع الأوّل ينفتح وينغلق وحده: كنّا نعرفه. أمّا الثاني فلم ينفتح. شدَّتاه معًا، كل واحدة بيديها الاثنتين وقدماها مغروستان في الأرض، وخوليتا محمرّة ونوا تعد حتّى ثلاثة بصوت عالٍ، وعند الثلاثة لم يحدث شيء. انحنت إيرين لتنظر. فيه طلاء فوق الطلاء، ومسمار برغي في الأرض يثبّته، غليظ كإصبع.

–إذن البطاقة مخطئة –قالت خوليتا.

–بالتأكيد –قالت نوا.

قرّرتا ذلك في ثانيتين. عددتُهما. أخرجت القلم للشَّرطة. كانت الخامسة.

لم أرسمها.

بقي القلم على بعد إصبع من الورقة. نظرت إلى صف الشَّرطات، في زاوية الصفحة: أربع، مرسومة جيّدًا، مستقيمة، كلّها بالحجم نفسه. كنت قد رسمتُها بعناية كبيرة. وكانت تنقص واحدة.

يوم الثلاثاء، خلف السور، قرّرت أنا أيضًا شيئًا دون أن أسأل أحدًا: أن أسكت.

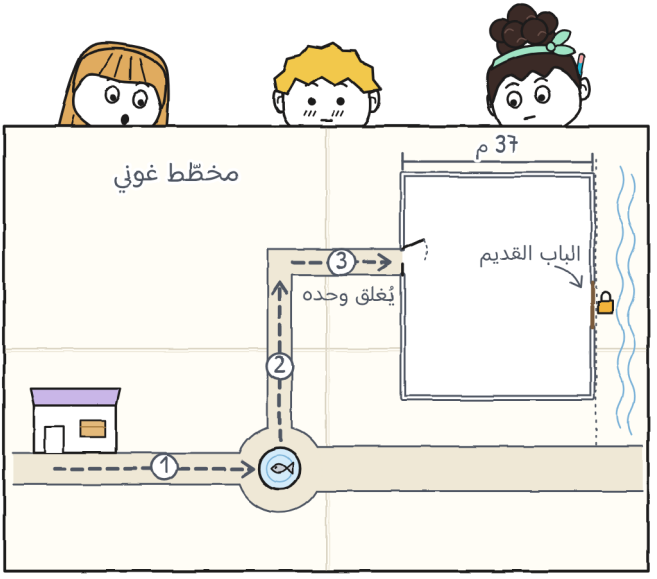
تحت «تقرّر من دوني»، بالخط نفسه وبالقلم الرصاص، كتبت صفًّا آخر: تقرّر من دونهما. وشَرطة. خرجت أكثر اعوجاجًا من الأخريات.

–البطاقة ليست مخطئة –قلت. خرج صوتي أعلى ممّا أردت–. للفناء باب آخر. هو في الخلف، في زقاق القناة. قديم وعليه قفل. وجدتُه يوم الثلاثاء.

أخرجت المخطّط من بين الصفحات وفتحتُه فوق المسرح الصغير المطويّ، الذي كان على الأرض يُستعمل مائدة. كانت الثنيات تقسمه أربعة، متقاطعة، مثل نافذة.

–يوم الثلاثاء؟ –قالت خوليتا.

–يوم الثلاثاء. احتفظت به لأكون على حق بعد ذلك.



انحنت الرؤوس الثلاثة على الورقة. السور: سبعة وثلاثون مترًا. والبوّابة، في أحد الجانبين، مع «تنغلق وحدها». وفي الجانب المقابل باب من مصراعين وقفل مرسوم من الأمام، ليُرى جيّدًا: الباب القديم.

لم يقل أحد شيئًا مدّة. قِستُها: كانت طويلة. كان يُسمع الشطرنج من الجانب الآخر من السور، قطعة على لوحة، بين حين وآخر، مثل ساعة لا تستعجل.

–حسنًا –قالت نوا. ونسخت الباب في خريطتها.

نسخته بالقلم الفيروزيّ، بعناية، تعد بالطرف مربّعات مخطّطي لتضعه في مكانه. ولم تسأل شيئًا آخر. بالنسبة إلى نوا، الباب الموجود باب يُدوَّن.

أمّا خوليتا فلم تقل «حسنًا». كانت تحرّك قدمها. حذاؤها الأحمر يذهب ويعود على أرض الفناء، تك، تك، تك، بإيقاع أعرفه: إيقاع الأشياء التي لن تُقال حالًا.

–البارحة كان سينفعنا كثيرًا.

–أجل.

البارحة، والمخطّط في الدفتر، كنت قد قِست أربعة أمتار من قدمي إلى النافورة بينما كانت نوا داخل مسرح.

ليس في الفناء ركن. ولم أبحث عن واحد. بقيت حيث كنتُ، والمخطّط مفتوح ويداي فوقه، كي لا يأخذه الهواء.

لم أقل «حسنًا» لأنّها لم تكن صحيحة بعد. – خ.

ذهبنا لنراه نحن الثلاثة، مع إيرين. خرجنا من البوّابة، التي انغلقت خلفنا بنقرتها، ودُرنا حول السور. عدّته نوا بصوت منخفض، بشفتيها: أربع وستّون خطوة. وأنا كنت أعرفه: سبعة وثلاثون مترًا. حسبتُها في رأسي، أربع وستّون في ثمانية وخمسين، فخرج سبعة وثلاثون وقليل. وكان الناتج واحدًا.

نظرت إلي نوا حين قلت ذلك. لم تقل شيئًا، لكنّها دوّنت «37 م» بجانب خطواتها، ودوّنت أنا «64 خطوة» بجانب أمتاري.

زقاق القناة ضيّق، ورائحته ماء راكد. وفي نهايته يُرى الدرابزين، وخلفه القناة، التي تمر دون أن تنظر. الباب القديم من خشب، بمصراعين، عريض كسرير عملاق. قاسته نوا من جانب إلى آخر: ثلاث خطوات. وقِستُه أنا: متر وخمسة وسبعون سنتيمترًا. تقريبًا بوّابتان. الخشب رمادي من كثرة ما أمطرت عليه السماء. والقفل فيه صدأ أكثر ممّا فيه قفل.

لمسته خوليتا بإصبع، بالطرف فقط، كما يُلمَس شيء قد يعض.

–مغلق منذ سنوات –قالت إيرين–. رأيتُه دائمًا هكذا.

بحثت إيرين في سجل المركز، الذي تحمله في الملفّ، ورقة ورقة، تقلّبها بإبهام مبلّل، حتّى وصلت إلى ورقة صفراء.

–ها هي. حين كان هذا الباب يُستعمل، كان الدخول إلى الفناء من مكانين: من البوّابة أو من هنا. كانوا يسمّونه «فناء البابين». ومن بين جميع المجموعات، المسرح وحده يتدرّب في الفناء.

كان في الورقة مخطّط قديم، بالحبر، للفناء ببابيه، وعنوان: فناء البابين. كان يشبه مخطّطي. أقدم وأسوأ قياسًا، لكنّه يشبهه. عددت الأبواب: اثنان. وفي مخطّطي، اثنان أيضًا. كانت أوّل مرّة يؤيّدني فيها مخطّط شخص آخر، وقد رسمه أحدهم قبل أن أعرف أين هذا الحي بزمن طويل.

–إذن البطاقة ليست لغزًا –قالت نوا.

–هي عنوان –قلت أنا.

«ورشة الفناء. الدخول من البابين.» كانت مكتوبة جيّدًا. كانت قديمة فحسب.

قالت مارا بعد ذلك إنّها رأت ذلك القفل تسع مرّات. ظنّت أن الباب المغلق لم يعد يُحسب – خ.



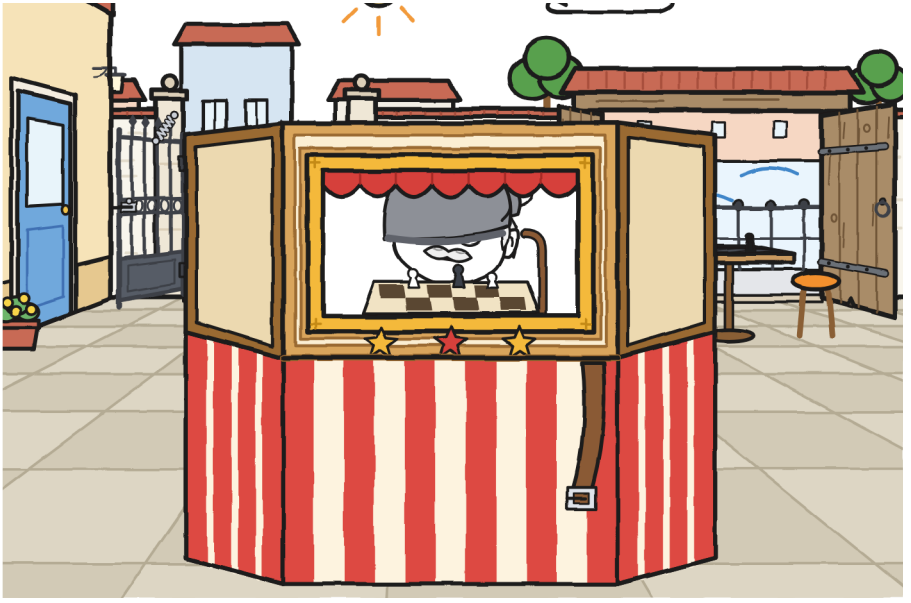
كان المفتاح في الملفّ، داخل ظرف: «الباب القديم. لا يضيع.» أخرجته إيرين بإصبعين، ونظرت إليه كما ينظر المرء إلى شخص لم يره منذ زمن، وفتحت القفل. كان ذلك صعبًا. في البداية لم يدر؛ ثم دار دفعة واحدة. وأصدر الباب صوت سفينة.

في الداخل، في الفناء، كان لاعبو الشطرنج قد أخرجوا الموائد إلى الشمس. لم يرفع أحد رأسه. باب مغلق منذ سنوات ينفتح بجانبهم بصوت سفينة، ولاعبو الشطرنج لا يرفعون رؤوسهم: هذه أيضًا طريقة في اللعب.

فتحت إيرين المسرح الصغير في الوسط، لترى كم يترك من المكان بين البابين. فتحته مع نوا، واليدان على الأعمدة. كلاك، كلاك، كلاك. كان يترك أكثر من كاف.

من نافذة المسرح الصغير كان يُرى السيّد أنطونيو، وقبّعته على عينيه وعصاه بين ركبتيه، أمام لوحة. كان يفكّر في نقلة. وكان يشخر قليلًا. تركتُه داخل الإطار مدّة، أنظر إليه، ولم أرد أن أتحرّك كي لا تتغيّر اللوحة.

–يوم السبت سأفتح الاثنين –قالت إيرين–. الدرّاجات تدخل من القديم، من زقاق القناة. والأحمال تدخل مشيًا، من البوّابة، من الرصيف. هكذا لا يتقاطعون.



–لكن القديم أعرض –قالت خوليتا–. وهو لا ينغلق وحده.

–والبوّابة هي بوّابتكم. وإن حملت الورشة المسرح الصغير إلى ساحة، فسيكون هناك أبواب أسوأ.

فتحت خوليتا فمها. بقي مفتوحًا لحظة، والجملة جاهزة، ولم تقلها. نظرت إلى نوا. ونظرت إلي.

–وأنت، ماذا تقول؟

كانت أوّل مرّة في الأسبوع كلّه. دوّنتُها مع التاريخ: «الخميس 29. وأنت، ماذا تقول؟». دوّنتُها قبل أن أجيب، كي لا أنسى السؤال وأنا أفكّر في الجواب.

قلت البوّابة، لكن بعد التمرّن. وقالت نوا الشيء نفسه. وقالت خوليتا حسنًا، وكانت هذه المرّة صحيحة إلى النصف. نصف أكثر من قبل.

بعد ذلك أصلحنا المقياس. وضعناه فوق المسرح الصغير المطويّ، الذي صار مائدتنا الدائمة مع أنّه لم يكن كذلك إلّا منذ يومين. كان فيه ثلاث خانات، ولا واحدة تصلح لما حدث البارحة ولا لما فعلتُه أنا.

رسمنا الخانة الجديدة نحن الثلاثة. رسمت أنا الإطار، بالرصاص. وكتبت خوليتا الاسم، بالأخضر. ورسمت نوا الرسم الصغير، بالفيروزي: فم بخطوط صغيرة، مثل التي تخرج من مذياع.

- التنبيه: قول ما يعرفه المرء.

في صف الأربعاء، في الخانة الجديدة، كتبت خوليتا: «لا أحد». وفي صف الثلاثاء كتبت أنا: «غوني، لا». كتبتُها ببطء وبخطّي المعتاد، لا أكبر ولا أصغر، ولم أمحها.

مقياس الثلاثة له أربع خانات. لا أشتكي. والرابعة هي الأصعب علي. — خ.



رجعنا عبر النافورة. كان الغروب، وقد صار الماء بلون الدفتر. وقفت أمام السمكة، من جانبها الأعرج. كانت تنقصها الزعنفة كما يوم الأربعاء، لكنّي الآن صرت أعرف كيف أنظر إليها.

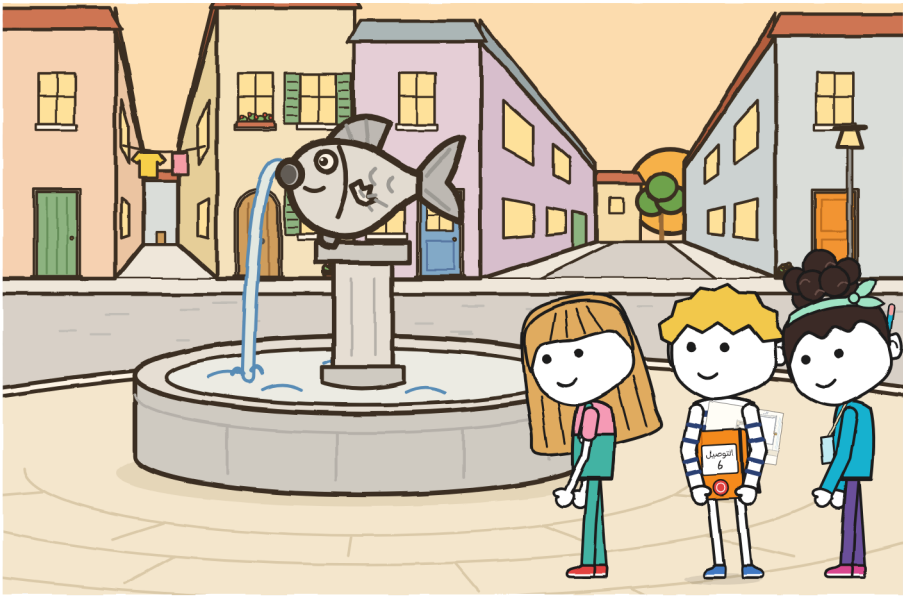
—هل تحكيان لي القصّة؟

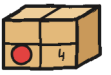
تبادلت خوليتا ونوا النظر. لم تضحكا. أطل شيء عليهما، زاوية من ضحكة الأربعاء، وخبّأتاه، كل واحدة لنفسها.

—طويلة —قالت خوليتا.

—السبت —قالت نوا—. إن وصلنا.

لم يكن لا. وضعت المخطّط في الدفتر، هذه المرّة دون أن أطويه، ونصف المخطّط ظاهر.





الفصل ٤

هل يستطيع أي أحد أن يوجّه؟

يوم الجمعة جاء تونيو إلى المتجر بالساعة وقلم رصاص وورقة تسجيل «البرق» مثبّتة بمشبك على لوح صغير. وضعها على المنضدة لنراها، كما يُوضع كأس لم يُفز به بعد.

مسابقة الحي · السبت 31. الفريق: «البرق». وتحته ثلاثة أسماء مرقّمة: زوي، تونيو، برونو. كلّها بخط مدبّب واحد، لم يكن خط تونيو. لا اسم مشطوب.

–كتبتها زوي –قال–. أملاها برونو: «برونو، بالباء».

–وزوي؟

–كتب برونو. بالباء.

تحقّقت. كانت الباء موجودة، وكانت ثابتة جدًّا، من النوع الذي يُكتب حين يكون أحدهم ينظر إلى قلمك.

ثم جلس على صندوقه، صندوق «في الوقت الحالي»، وضبط الساعة على الصفر بنقرة سُمعت في المتجر كلّه.

–اليوم أقيس الوقت. لا أبدي رأيًا. أدوّن ما يجب إعادته.

تونيو من «البرق» ومن المتجر، وبدا ذلك العصر أنّه وجد كيف يكون الاثنين معًا: على اللوح، ورقة فريقه؛ وعلى المعصم، وقتنا.



كانت هناك ثلاث أفكار، واحدة لكل رأس. فكرة نوا: التناوب. ثلاثة مقاطع، وفي كل مقطع يوجّه واحد آخر. وفكرتي: أن يكون التوجيه وفتح الطريق من شخص واحد، هو الذي يسير حرًّا، لأن اللذين يحملان لا يريان إلّا المسرح الصغير؛ أعرف ذلك لأنّي كنت يوم الأربعاء أحدهما، وكان أكثر ما رأيتُه قماشًا مرسومًا. وفكرة خوليتا: أن نبدأ الآن.

قلت إنّه يجب قبل ذلك النظر إلى الطريق كلّه، في المخطّط.

–ننظر إليه ونحن نمشي –قالت خوليتا.

فازت هي. والطريق، حين يُمشى، يُنظر إليه بسرعة كبيرة.

–مَن يوجّه أوّلًا؟ –سألت نوا.

أشرنا نحن الثلاثة في وقت واحد. كنّا قد فعلنا ذلك يوم الثلاثاء، وأشار كل واحد إلى مكان مختلف: البوّابة، القاعة، الشارع. هذه المرّة لم يشر أحد إلى مكان. أشرت أنا إلى نوا، وأشارت نوا إلى خوليتا، وأشارت خوليتا إلي. ثلاث أذرع في حلقة، مثل أسلاك عجلة لا تنوي أن تدور، وفي الوسط، على الأرض، المسرح الصغير المطوي. لم يشر أحد إلى نفسه.

دوّنها تونيو دون أن يرفع نظره. وكانت إيرين تنتظر عند الباب، والملف على صدرها، دون أن تبدي رأيًا هي أيضًا. في ذلك العصر كان في المتجر شخصان لا يبديان رأيًا، وثالثة، هي مارا، لا تبدي رأيها بصوت عال أبدًا، فاستخرجنا الخطّة بالدوران حول الحلقة:

1. المتجر ← النافورة: توجّه خوليتا.
2. النافورة ← الزاوية: يوجّه غوني.
3. الزاوية ← الفناء: توجّه نوا.



قبل أن نرفع المسرح الصغير قالت خوليتا:

–شيء واحد.

لم تكن قد أعلنته. وقفت أمامي؛ لا أمام المسرح الصغير ولا أمام نوا ولا أمام الباب: أمامي، وذراعاها ملتصقتان بجسمها كأنّها ربطتهما كي لا تفلتا.

–يوم الأربعاء أعطيت توجيهًا لا يفهمه إلّا نوا، ثم قلت إنّك تهت.

لم تقل شيئًا آخر. لم يكن لازمًا: كان فيه كل شيء. ما حدث، ومَن فعله، وبمَن. وأنا، لأقول الشيء نفسه، كنت سأحتاج إلى صفحة، وفي أسفلها حاشية بنجمة.

نظرت إلى قدميها. قدما خوليتا مصنوعتان لتذهبا؛ حين تتكلّم تكون إحداهما قد انطلقت إلى مكان آخر. هذه المرّة كانتا ساكنتين كلتاهما، متلاصقتين، مغروستين في البلاط كأنّها أوقفتهما والفرامل مشدودة. وخلفي كانت نوا، ويدها على

عروتها، تنظر إلى الأرض باهتمام شديد كي لا تزعج. وكان قلم تونيو متوقّفًا على بعد سنتيمتر من الورقة.

–حسنًا –قلت.

تعلّمتُها من نوا، يوم الخميس. وخرجت منّي كاملة.

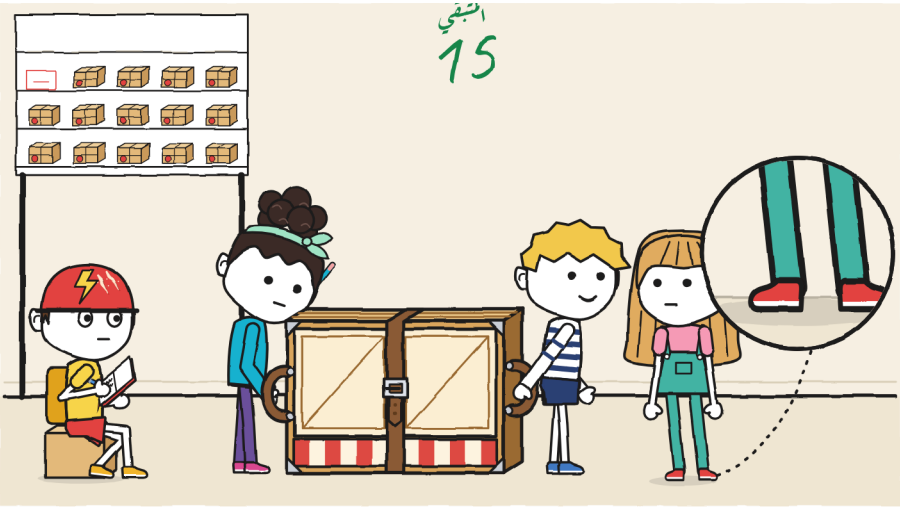
ولأنّي لا أعرف كيف أقبل شيئًا دون أن أطرح سؤالًا، طرحت سؤالًا:

–من أي جانب تنقص الزعنفة في السمكة؟

–من اليسار، كما تصل –أجابت خوليتا دون تفكير، كمَن حفظ الجواب–. عند النافورة، انعطاف إلى اليسار. أنبّهك قبل خمس خطوات.

–هذا توجيه فعلًا.

كان فيه جانب ومكان وتنبيه. نسختُه في الدفتر كما هو، مع «كما تصل»، وهي بالضبط ما كان ينقص يوم الأربعاء.



القدمان ساكنتان. تحقّق من الرسم. – خ.

المقطع الأوّل. شدّت نوا الحزام في الثقب الثاني. قلت إنّه في الثالث يتحمّل أكثر.

–في الثالث يتأخّر في الانفكاك –قالت نوا–. وحين نصل تكون هناك عجلة.

قلتُها مرّة واحدة، بصوت عالٍ، وخسرتُها. كانت العُرى بالثقل نفسه.

خرجنا. إيرين، الأخيرة، على بعد عشر خطوات، بالملفّ؛ وتونيو، على الطريق، ودرّاجته في يده وعيناه على معصمه. وكانت خوليتا تتقدّمنا بثلاث خطوات، وعند مدخل الساحة رفعت ذراعها نحو اليسار.

–خمس خطوات... انعطاف إلى اليسار!

–الحزام! –قالت نوا. وأمسكته.

دُرنا حول السمكة العرجاء كأنّنا فعلنا ذلك دائمًا. من جهتي كانت السمكة ما زالت تملك كل زعانفها؛ وقد تعلّمت ألّا أثق بها. لا كلاك.

–المقطع الأوّل: ست دقائق –قال تونيو–. المُعاد: لا شيء.



عند النافورة تبادلنا. خوليتا ونوا عند العُرى؛ وأنا حر. كانت أوّل مرّة في حياتي أوجّه فيها شيئًا غير قلم.

كنت قد حضّرت. في الليلة السابقة، تحت المصباح، قِست في المخطّط الشارع الضيّق: حافّتا رصيف، ومدخل بناية بارز، وغطاء مجرى يتأرجح، وعبور مشاة. الطريق القصير، طريقهما،

يعبر قطريًّا حيث لا خطوط. وطريقي ينزل حافّة الرصيف، ويعبر من الخطوط، ويصعد ثانية: تسع خطوات زائدة وكلمتا «قِف» ليستا في الآخر. كنت قد رقّمت كل شيء. لكن المخطّط لا فيه سيّدات.

أوجّه هكذا:

–ثلاث خطوات. قِف. حافّة رصيف. اصعدا. خطوتان. قِف. سيّدة.

كانت السيّدة قادمة من الأمام بعربة تسوّق.

–مساء الخير.

ردّت التحيّة. أمّا أنا فلم أُنزل يدي.

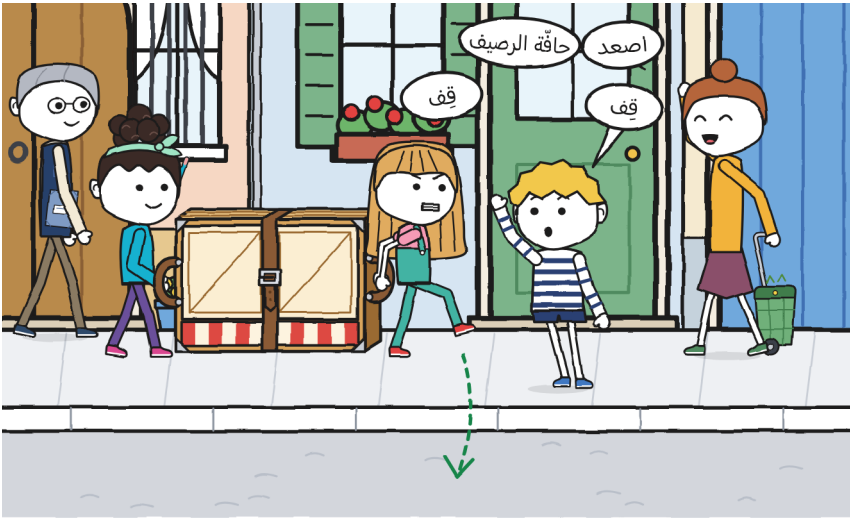
–تمر السيّدة. أربع خطوات.

كنت أمشي جانبيًّا، مثل السرطانات والحرّاس، ويدي مرفوعة. اليد المرفوعة هي كل ما يملكه شرطي المرور، والحافلات تطيعه. كنت قد سمعت «قِف» من إيرين يوم الأربعاء: هي لا تقول من أين؛ تقول «قِف» حين تكون هناك حافّة رصيف. حينها بدت لي قليلة. ومن مكان مَن يوجّه تبدو كثيرة جدًّا: هي الكلمة الوحيدة التي توقف في الوقت نفسه شخصين ومسرحًا و، إن لزم، سيّدة.

–قِف. غطاء المجرى. نطؤه من الحافّة، لا من الوسط. خطوتان.

كانت خوليتا في المقدّمة، بعروتها، دون أن تنبس. وهذا، عند خوليتا، خبر. كانت قدمها تنطلق وحدها نحو الطريق القصير: تخرج قطريًّا، كما تخرج اليد نحو جرس بيت مألوف، وتبقى لحظة في الهواء ثم تعود إلى خطّي. كانت تردّها إلى خطّي. رأيتُها تفعل

ذلك أربع مرّات. وفي الرابعة ضغطت شفتيها، ولم تفلتهما حتّى الزاوية.



وكانت نوا، خلفي، تحرّك شفتيها. ظننت أنّها تعد الخطوات، وهذا ما تفعله دائمًا. وعلى الطريق كان تونيو ينظر إلى الساعة ثم إليّ، ثم إلى الساعة، كمَن يقارن شيئين لا يتّفقان.

–قِف. الزاوية.

وصلنا. لم يضطر أحد إلى الرجوع إلى الخلف.

–المقطع الثاني: إحدى عشرة دقيقة –قال تونيو–. هذا أبطأ ما قِستُه في حياتي. المُعاد: لا شيء.

إحدى عشرة دقيقة دقائق كثيرة. لم أبال. الدقائق دوّنها تونيو؛ والباقي دوّنتُه أنا، بخط صغير، كي لا يُستهلك: كانت أوّل مرّة أوجّه فيها شيئًا ولا يلزم إعادته.

–قلت «قِف» أربع عشرة مرّة –قالت خوليتا.

–عددتُها –قالت نوا–. خمس عشرة.

إذن لم تكن تعد الخطوات.

–زادت ست منها –قالت خوليتا–. لكنّي فعلتُها كلّها.

–لم تزد واحدة –قلت أنا.

–ست.

لم يدوّن تونيو مَن كان على حق. دوّن الرقم: «"قِف": 15 (تعد نوا)». فتحت خوليتا غطاء القلم ورسمت بجانبه، بالأخضر، حلزونًا بخوذة «البرق». نظر إليه تونيو مدّة. لم يمحه. في ورقة تونيو لا يُمحى شيء.

لم أجادل في أي منها. كانت أسناني تؤلمني من شدّة الضغط. – خ.



المقطع الثالث، من الزاوية إلى الفناء. كنّا نحمل أنا وخوليتا؛ وكانت توجّه نوا، بخريطة المسابقة التي وزّعتها إيرين على جميع الفرق.

بعد عشرين خطوة توقّفت، حيث يبدأ زقاق القناة.

–لا يصح.

–ما الذي لا يصحّ؟

–الخريطة تُدخلنا من هنا. إلى الباب القديم. ونحن ندخل من البوّابة، التي في الجانب الآخر.

بدأت خوليتا تلتفت نحوه لتراه، والمسرح الصغير كلّه خلف الالتفات ولا أحد عند الحزام.

–إلى الأرض –قلت.

–ننظر لحظة ونواصل.

–أوّلًا يُوضَع. ثم يُناقَش.

نظرت خوليتا إلى الحزام، ونظرت إليّ، وأنزلت جانبها. وأنزلت جانبي. بقي المسرح الصغير على الرصيف، مسطّحًا ومطيعًا، وهذه أفضل حالاته.

وضعت مخطّطي بجانب خريطتها، فوق المسرح الصغير، الذي صار مائدتنا مرّة أخرى. منذ الخميس أحمله دون طيّ، وهذا يظهر: يشغل نصف الدفتر ويطل من أعلاه مثل لسان. في خريطة المسابقة لم يكن مرسومًا إلّا مدخل واحد، بسهم أحمر، ولم يكن البوّابة: كان الباب القديم. ذلك الذي عليه القفل. الذي وجدتُه يوم الثلاثاء وحدي وسكت عنه يومين.

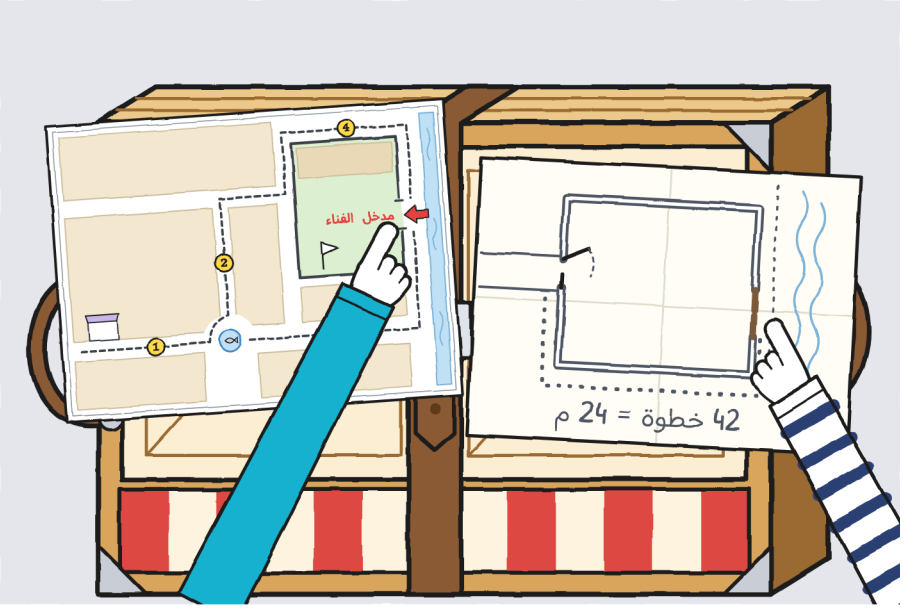
–خريطة قديمة –قلت–. من حين كان يُدخل من هناك.

وضعت نوا إصبعها على خريطتها، ووضعت إصبعي على مخطّطي. المكان نفسه، على ورقتين.

من هناك إلى البوّابة كانت اثنتان وأربعون خطوة من خطوات نوا. أو أربعة وعشرون مترًا من أمتاري. بخطوتها وشريطي يمكن قياس الحي كلّه.

–هل نخبر إيرين؟ –سألت خوليتا.

كانت إيرين على بعد عشر خطوات، بالملف. كانت قد سمعت كل شيء، أنا متأكّد، وانتظرت أن نخبرها، كما ينتظر المرء أن يُنهي أحدهم جملته.



–وبقيّة الفرق –قالت نوا–. وإلّا دخل الذين يمشون كلّهم الزقاق. مع الدرّاجات.

تخيّلت الزقاق يوم السبت: خمسة فرق، لكل منها حمله، وثلاث درّاجات من «البرق» ترن أجراسها أمام باب.

لم أقل شيئًا. كنت موافقًا. والاتّفاق لا يترك شَرطة.

جلست إيرين على مقعد في الفناء والخرائط كلّها على ركبتيها، وصحّحتها واحدة واحدة بقلم أحمر: شطبت السهم القديم ورسمت سهمين، واحدًا بدرّاجة عند الباب القديم وآخر برزمة عند البوّابة. وقارن تونيو خريطته بمخطّطي، خطًّا خطًّا.

–«البرق» كان سيدخل من حيث تقول الخريطة.

–أنتم تدخلون من هناك –قالت إيرين–. بالنسبة إلى الدرّاجات كانت الخريطة صحيحة. بالصدفة.

بقي تونيو ينظر إلى خريطته بوجه مَن يعلم أنّه كان على حق دون أن يفعل شيئًا ليكون كذلك، وهذا في «البرق» لا يُحتسب.



رجعنا إلى الزاوية وأعدنا المقطع الثالث، هذه المرّة حتّى البوّابة. حملنا أنا وخوليتا، ووجّهت نوا وفتحت الطريق ونبّهت، كل ذلك في وقت واحد:

–قِف! أمسك المصراع! مرّوا!

مررنا. ملأت المقياس. في صف «الزاوية ← الفناء» وضعت: غوني وخوليتا، نوا، نوا، وفي الخانة الرابعة، «نوا: "الخريطة خاطئة"». كل اسم بلونه: الرصاص والأخضر والفيروزي.

كان أوّل صف كل خاناته ممتلئة. خانة التنبيه اخترعناها يوم الخميس بسببي، وأوّل مَن استعملها نوا. كتبت اسمها بأوضح خط عندي.

أمسكتها بظهرها، مثلما فعلت أنت يوم الثلاثاء. أروّن ذلك أنا. – خ.

أرانا تونيو ورقته. كان مكتوبًا في أعلاها، بأحرف كبيرة، ما الذي وجب إعادته:

- الأربعاء: انعطاف النافورة، 3 مرّات.
- الجمعة، المقطع 1: لا شيء.
- المقطع 2: لا شيء (بطيء).
- المقطع 3: المدخل. لم يكن ذنب الفريق: كان ذنب الخريطة.

وفي الأسفل، مسطّرًا مرّتين: «ما يتكرّر أكثر ليس الخطوات. إنّها التوجيهات.»

–هذا الأخير رأي –قالت خوليتا.

–هذه معلومة –قال تونيو–. في «البرق» الاتّجاه المقول خطأ يُدفع ثمنه مرّتين: في الذهاب وفي الإياب.

وضع الخوذة ومضى ليتدرّب على ما يخصّه. وعند أوّل زاوية، رن.



في المساء، في المتجر، وضعت مارا المسرح الصغير في صندوقه، وعاد الصندوق صندوقًا كسائر الصناديق. وقبل أن ينزل الغطاء نظرت نوا إلى الإبزيم.

–غدًا، في الثقب الثالث. ولو تأخّر في الانفكاك.

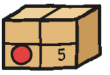
قالتها وهي تنظر إلى الإبزيم، لا إلي. كانت ما قلتُه قبل أن نخرج. لم أدوّنها في المكاسب: كانت هي مَن قرّرتها، في وقتها، وهذه في عمود آخر.

فتحت الدفترِ عند زاوية الشَّرطات: الأربع التي تحت «تقرّر من دوني» وتحتها شَرطتي. لم أرسم اليوم أي واحدة. راجعت اليوم والقلم في الهواء، كما تُراجع فاتورة قبل أن تُقبل. عددت أربعة خلافات. الأربعة قلتُها بصوت عال. وربحت واحدًا.

الجمعة. الخلافات: 4. المقولة: 4. المكسوبة: 1.

على رفّها كان صندوق الطرد رقم 6 ما زال بأختامه التسعة. تسعة. ولا واحد أكثر.

الذي ربحته كان وضع المسرح الصغير على الأرض قبل أن نتناقش. هذا أهديه لك. – خ.



الفصل 5

هل يهم أن نصل أوّلين؟

يوم السبت لبست قميص أيّام السبت البرتقالي. ليست خرافة: في أيّام السبت تحدث أشياء، وأفضّل أن أرتدي الثياب نفسها دائمًا لأتمكّن من مقارنتها.

–لونك يطابق الدفتر –قالت خوليتا.

وضعت الدفتر على القميص لأتحقّق. كانت على حقّ، بفارق درجة واحدة.

في الحادية عشرة كان في الفناء البابان مفتوحين لأوّل مرّة منذ سنوات كثيرة، وناس يدخلون من البابين: الدرّاجات من القديم، من زقاق القناة؛ والمشاة من البوّابة، من الرصيف. وكان الباب القديم، مفتوحًا على مصراعيه، يبدو أكثر دهشة من أي أحد. كانت هناك رايات صغيرة من سور إلى سور، ومنضدة عليها لافتة مكتوب فيها النهاية. وجلست فلورا في الصف الأوّل بترموسها، كمَن جاء ليرى موكبًا يمر وينوي أن يبقى للألعاب النارية. وصاحبة محل الأحذية واقفة، ذراعاها معقودتان. وفيرا، تحمل فُتاتة؛ وفُتاتة، تدير رأسها نحو كل ما يتحرّك، وكان في ذلك الصباح كل شيء. وعلى أعلى السور، عقعق. لم يدعُه أحد.

صعدت إيرين على مقعد ونفخت في الصفّارة. ساد صمت ساحة مدرسة، وهو صمت تحته ضجيج كثير.

–كل فريق يحمل حمله إلى هنا، مارًّا بكل المحطّات. مع الحمل لا يُركض. ومَن يركض يُعيد المقطع. ويربح الوقت مَن لا يُعيد.

دوّنتُها كلمة كلمة. كانت أوّل مرّة تبدو لي فيها قاعدة لعبة مكتوبة من أجلي.



كان في القائمة خمسة فرق، مثبّتة بدبابيس على لوح فلّين:

1. «البرق» (زوي، تونيو، برونو)
2. الجوقة
3. كِش ملك
4. الإبَر
5. نوا + 2

كان «البرق» يحمل ظرفًا، على درّاجة. والجوقة، حامل نوتة. والشطرنج، لوحة عملاقة. والخياطة، دمية عرض بلا رأس. وفريقنا كتبته نوا يوم الاثنين، قبل أن تعرفني.

–نحن «نوا + 2» –قلت لخوليتا.

–أنا الـ 2 –قالت–. وأنت ستكون الزائد.

نظرت إلى العلامة الصغيرة بين الاسم والرقم. لم تكن يومًا إشارة. دوّنتُها كمنصب.

كان كل فريق ينطلق من الباب الذي تنام عنده حمولته. وأعطانا الإشارة السيّد أنطونيو، الذي يسكن قريبًا ولا يركض.

عند باب المتجر أخرجت مارا المسرح الصغير من صندوقه، فكبر المسرح الصغير إلى حجمه في الشارع. شدّت نوا الحزام بسرعة ورفعناه.

كلاك. انفتح لوح شِبرًا، مثل فم تذكّر شيئًا.

–إلى الأرض –قلت.

لم يجادل أحد. أنزلناه نحن الثلاثة معًا، ببطء، كأن في داخله بيضة. وفي المرّة الثانية شدّت نوا الحزام دون عجلة، في الثقب الثالث، وشدّته مرّتين لتجرّبه. نظرت أنا إلى الإبزيم ثم إلى الشارع. كان الاثنان بخير.

خفض السيّد أنطونيو قبّعته دفعة واحدة، فكانت تعمل راية.

–بتمهّل –قال–، فهكذا نصل.

أغلقت مارا الموكب، والصندوق الفارغ تحت ذراعها. بلا شيء في داخله بدا أكبر.



المقطع الأوّل. وجّهت خوليتا.

–خمس خطوات... انعطاف إلى اليسار!

–الحزام!

كنّا ندور ببطء حول السمكة العرجاء، ونشغل الزاوية كلّها، حين وصلت زوي بالدرّاجة. كانت الأولى بين الجميع. توقّفت ووضعت قدمًا على الأرض.

–مرّوا أنتم. مع ذاك لا يُركض.

انتظرت حتّى خرجنا من المنعطف. ثم مضت. سبقناها عشرين ثانية. قاستها هي نفسها.

توقّفت فجأة. الضفيرة تأخّرت قليلًا. — خ.

كانوا يختمون في كل محطّة قسيمة. وقسيمة المخبز كانت عند إليسا، التي تختم بإبهام ملآن بالدقيق وتضغط كأن القسيمة عجين ويجب تركها ترتاح. وعلى قسيمتنا تركت ثلاث بصمات بيضاء، واحدة لكل رأس، مع أنّنا وصلنا حين كان الدقيق قد جف على قسيمة «البرق».

مر «البرق» من أمامنا ثلاث مرّات، كل مرّة من شارع مختلف. ومن خلف مسرح صغير، كان «البرق» يبدو مثل ساعة الوقواق: يخرج ويدق ويدخل. كان تونيو يضع اليدين على المقود ويرن الجرس في الزوايا. وكان برونو يحمل الظرف. وكانت زوي في المقدّمة وتنتظرهم في كل محطّة، لا تلمس القسيمة حتّى يكونوا الثلاثة. وفي المرّة الثانية التي مرّوا فيها، لم ينظر تونيو إلى الساعة: نظر إلينا. كان هذا أقرب ما رأيتُه منه إلى رأي في اليوم كلّه.



في المقطع الثاني كانت خوليتا ونوا تحملان، وكنت أنا أوجّه. سبقتنا الجوقة، بحاملها. ركضًا. ورنّت صفّارة إيرين، التي كانت في كل مكان في آن واحد، فعادت الجوقة إلى النافورة تغنّي بصوت خافت، وهذه هي الطريقة التي يُغنّى بها حين يجب إعادة مقطع.

وسبقنا الشطرنج، بلوحته على جانبها وقطعه في كيس يُسمع صوته كالبَرَد. وسبقتنا حتّى الدمية، أفقيّة، يحملها ثلاثة من الخياطة يمشون على أطراف أصابعهم، كأن الدمية نائمة. أن تسبقك دمية عرض بلا رأس تجربة لا أعرف كيف أقيسها، وقد حاولت.

لم تركض خوليتا. أو بالأحرى: انطلقت قدمها. وأعادتها.

–هل يهم أن نصل أوّلين؟ –سألت.

–البطاقة لا تقول «أوّلين» –قالت نوا–. تقول «مطويًّا».

–حافّة رصيف –قلت أنا.

صعدناه.

أعادت الجوقة المقطع وهي تغنّي. وفي العودة كانت أردن نغمًا. – خ.



المقطع الثالث. وجّهت نوا حتّى البوّابة. هناك وضعنا المسرح الصغير على الأرض.

–مَن يفتح؟ –سألت خوليتا. وانتظرت الجواب.

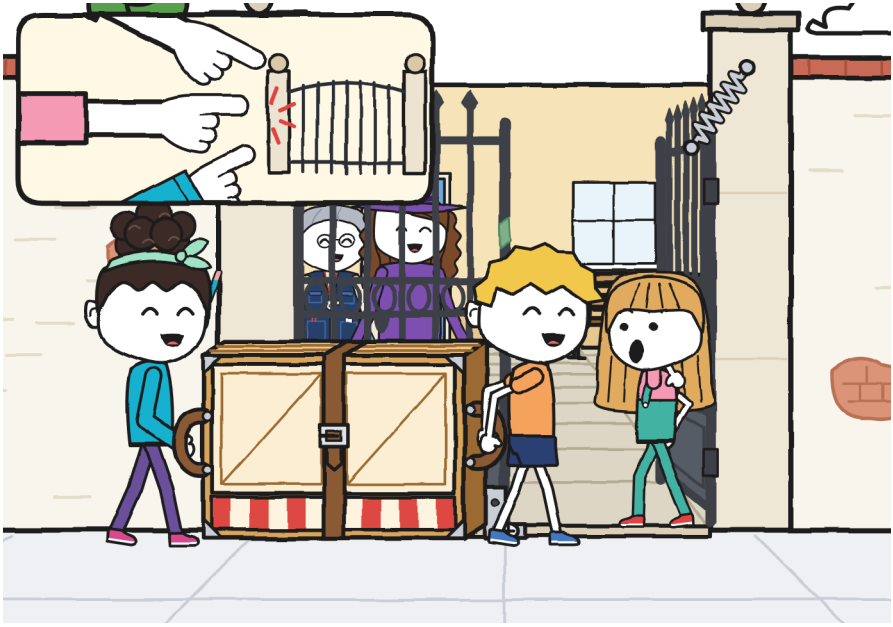
أشرنا نحن الثلاثة في وقت واحد. كانت المرّة الثالثة في الأسبوع. يوم الثلاثاء أشار كل واحد إلى مكان. ويوم الجمعة أشار كل واحد إلى شخص آخر. وهذه المرّة أشرنا الثلاثة إلى المكان نفسه: أشارت نوا إلى البوّابة، وأشارت خوليتا إلى البوّابة، وأشرت أنا إلى البوّابة. ثم ضحكنا، لأن هكذا لا يتقرّر مَن. ثلاث أذرع تشير إلى باب هي رأي حازم جدًّا في الباب ولا رأي لها فينا.

–أنت –قلنا نوا وأنا.

انتقلت نوا إلى عروتها. وأمسكت خوليتا المصراع بظهرها وبيديها الاثنتين، والقدمان ثابتتان، وللمرّة الأولى لم تنطلق قدم منهما.

–قِف! أمسك المصراع! مرّوا!

مررنا. مطويًّا. كاملًا.



–إحدى وأربعون دقيقة –قالت إيرين.

كان «البرق» قد استغرق أربع عشرة. كانوا جالسين الثلاثة على الأرض، بجانب الدرّاجات، دون عرق. حيّتني زوي بإصبعين؛ وبرونو، باليد كلّها.

جاءت مارا والصندوق تحت ذراعها. ونظرت إيرين إلى المسرح الصغير على أرض فنائها، مطويًّا، والحزام في مكانه، ونظرت إليه مدّة طويلة، من الأعلى إلى الأسفل، كما يُنظر إلى شخص يصل من سفر طويل ليُتحقَّق من أنّه وصل سالمًا. فتحت الملف وأرت مارا ورقة السجل: «ورشة المسرح. المسؤولة: إيرين». قرأتها مارا كما تقرأ هي، بإصبعها، السطر أوّلًا ثم الختم. وناولتها خوليتا القلم الأخضر، الذي لا يُمحى.

–يناسبني –قالت إيرين. ووقّعت على البطاقة.

ظهرت على البطاقة كلمة «تم التسليم». لم يكتبها أحد. وحولها ظلّت الأختام التسعة لـ«مُرْتَجَع»، واحد لكل رحلة من رحلات مارا، وفي الوسط، الآن، توقيع أخضر لا ينوي أن يذهب إلى أي مكان.



فتحت إيرين جرد المركز لتدوّن المسرح الصغير. لم يلزم: كان له صفحته. في أعلاها: مسرح صغير قابل للطي · بانتظار الاستلام، وتحته، في خانة عنوانها اختبارات، سطر قديم، أعوج، بخط سيّئ جدًّا:

«جُرِّب في الفناء. مطويًّا يمر من البابين. مفتوحًا لا. –ر.»

انحنينا نحن الثلاثة لنقرأه، حتّى ألقت رؤوسنا ظلًّا عليه.

–هو من قبل أن أتولّى الورشة –قالت إيرين–. لا أعرف مَن هو.

–ونحن لا نعرف أيضًا –قالت خوليتا–. لكنّنا نعرف أشياء شيئًا فشيئًا.

كان ر. في ذلك الفناء وجرّب المسرح الصغير قبل أن يرسله. وهذه المرّة قاس البابين: البوّابة والقديم. ما كان ر. يعرفه كان يتّسع لسطر. أمّا نحن فقد كلّفنا أسبوعًا.

باب إليسا. البابان في الفناء. تُقاس الأبواب. أحتفظ بهذا لبطاقة المعلومات. — خ.



فاز «البرق»، دون أن يُعيد مقطعًا واحدًا. وكانت الجائزة رغيفًا كبيرًا من إليسا عليه رقم 1 من الدقيق. قسمته زوي إلى ثلاث قطع. وكانت قطعة برونو بحجم قطعتها؛ قِستُها بالعين، وعيني، مع القطع، لا تخطئ.

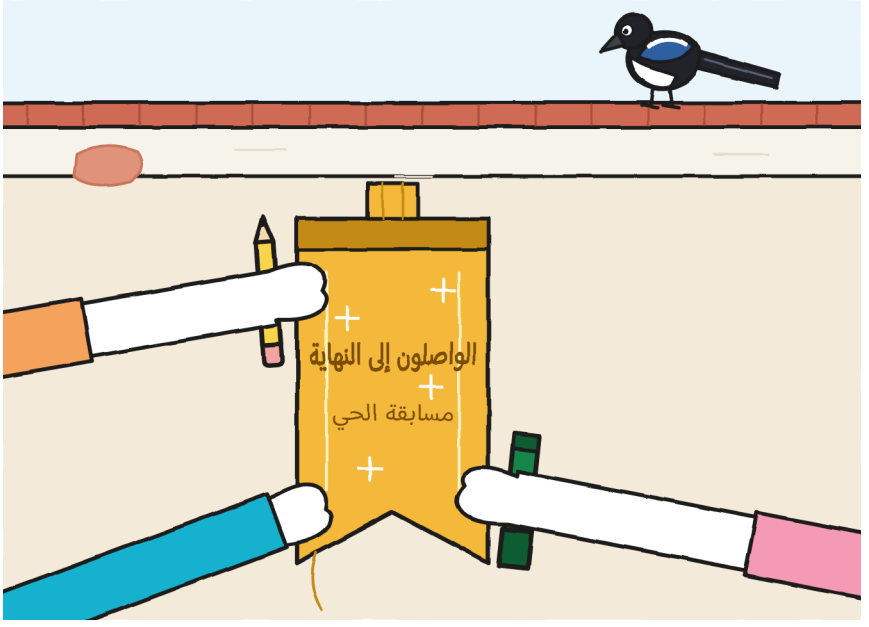
وأعطت إيرين الفرق التي وصلت بحملها كاملًا شريطًا. رأيت شريطنا من قريب لأنّنا الثلاثة كنّا نمسكه: يد بقلم رصاص، ويد بقلم أخضر، ويد بكم فيروزي. كان من ساتان ذهبيّ، بلمعات تغيّر مكانها حين تتنفّس قربه، وبعقدة قصيرة في أعلاه وحافّة بدأت تُفلت خيطًا. وكان مكتوبًا عليه، بحروف تُقرأ من بعيد: الواصلون إلى النهاية · مسابقة الحي.

على السور مالت العقعق برأسها. هذا ما أفعله أنا أمام مخطّط لا أفهمه.

—الواصل إلى النهاية هو الذي يصل أخيرًا —قالت خوليتا.

—هو الذي يصل إلى النهاية —قالت نوا.

—وصلنا أخيرين إلى النهاية —قلت أنا—. وهذا ينطبق على المعنيين.





–وما دام هنا –قالت إيرين–، فلنفتتحه.

فتحاه، مارا وإيرين، واليدان على الأعمدة. كلاك، كلاك، كلاك. كانت أوّل مرّة في الأسبوع كلّه أسمعه ينفتح عن قصد، وكان صوته نفسه: على ما يبدو المسرح الصغير لا يفرق عنده.

ونحن خلفه. كان لدينا دقيقتان لاختراع عرض. ووزّعت نوا الأدوار. وقبل ذلك سألت:

–مَن يريد أن يتكلّم قليلًا؟

رفعت يدي. كانت أسرع يد في المسابقة كلّها.

أفلتت فَتاتة من فيرا، وطارت مترًا واحدًا وحطّت فوق لوح، منتصبة جدًّا، وذيلها متدل أمام النافذة تمامًا. في ذلك الأسبوع كان يُرى من ذلك الإطار تونيو وفمه ممتلئ، ونوا في وسط الشارع، والسيّد أنطونيو نائمًا أمام لوحة. والآن، ذيل فُتاتة. للإطار عين لا تخطئ فيما لا يليق. كان هذا هو العرض ولم يبدأ بعد.

التقطتها فيرا بذراعين ممدودتين، واستسلمت فُتاتة، بوجه «لم أكن أنا» الذي نسخته منّي في اليوم الأوّل.



سُمّي العرض «الطرد الذي لم يرد أن يدخل». وكانت خوليتا تمثّل دور مارا، بقُمع ورقي قبّعة. وكانت نوا تمثّل كل الأبواب، وكانت كلّها تخرج مختلفة بمجرّد تغيير القدم. وأنا أمثّل الطرد، مطلًّا من النافذة.

–الورشة؟ –كانت تقول نوا–. هنا، خياطة.

–مُرْتَجَع –كنت أقول أنا.

–الورشة؟ هنا، جوقة.

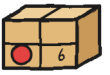
–مُرْتَجَع.

قلتُها تسع مرّات. وكان الجمهور يعدّها، والجوقة، التي جاءت لهذا، تعدّها وهي تضبط نغمتها. وفي المرّة العاشرة فتحت نوا ذراعيها، وقلت أنا الكلمة الأخرى.

وللتحيّة أطللنا نحن الثلاثة من النافذة. اتّسع لنا المكان. متراصّين. كانت أذني اليسرى لخوليتا، واليمنى لعقصة نوا. وفي الأسفل، مارا، صاحبة القبّعة الحقيقيّة، تصفّق بإصبعين.

لا يُقسَّم إلى قطع. يتراص الواحد منّا. – خ.


رقم 6



الفصل 6

ماذا يبقى حين ينتهي الاختبار؟

في العصر رجعنا إلى المتجر بالبطاقة. جاءت نوا أيضًا. بقيت عند الباب، ودفترها الصغير معلّق، تعد طرود الرف بإصبعها وشفتيها، دون صوت.

نظرت خوليتا إلى اللافتة. ثم نظرت إلى مارا.

—هل يمكنني؟

—هي لافتتك.

صعدت على المقعد الأزرق الصغير، وشطبت 15 وكتبت، بحروف كبيرة، 14. ولصقت مارا البطاقة في كتابها، مع الخمس الأخرى، ومرّرت يدها فوقها مرّتين، كما يُمسّح ملاء.

عند الباب أنهت نوا العد.

—أربعة عشر —قالت، لا لأحد.

—أربعة عشر —قالت خوليتا من على المقعد، والقلم ما زال مكشوف الغطاء.

أحضر تونيو الترتيب، بختم مركز الحيّ، لأنسخه في الدفتر: «البرق»، أربع عشرة دقيقة؛ كِش ملك، تسع وعشرون؛ الإبَر، ثلاث وثلاثون؛ الجوقة، ثمان وثلاثون، مع مقطع مُعاد؛ نوا + 2، إحدى وأربعون. نظرت إليه مرّتين. كان «برونو» كاملًا، دون شطب ودون أي شيء فوقه. أمّا ما يخص فريقنا فأصلحته نوا بقلمها الفيروزيّ، دون أن يطلب منها أحد: شطبت «+ 2» وكتبت فوقه نوا وخوليتا وغوني.

–يوم الاثنين لم أكن أعرف أسماءكما –قالت–. حسنًا. اسم غوني.

أخرجت بطاقة المعلومات عن ر. كان فيها إحدى عشرة قرينة. وأضفت واحدة: «12. جُرِّب المسرح الصغير في فناء المركز قبل إرساله. هو في الجرد.» قرأها تونيو. وقرأ أيضًا ما يخصّه، في الأسفل، معلَّق: لي تفسير مستحَقّ، ومرّر إصبعه تحته، دون أن يلمس الحبر. ولم يشطب شيئًا.

–جُرِّب المسرح الصغير –قال–. أمّا جرسي فلم يُجرَّب.

–هذا لا نعرفه –قالت خوليتا.

–لا يوجد في أي جرد أي سطر عن جرسي –قال تونيو. وهذا أيضًا كان صحيحًا.



ثم فردت المخطّط على المنضدة. أو بالأحرى: لم يعد مطويًّا. منذ الخميس كان يسافر مفتوحًا داخل الدفتر، يطل من أعلاه، لكن آثار الطيّات ما زالت فيه، متقاطعة، مثل نافذة، وهذه لا تزول. المخطّط يتذكّر كيف حُمل.

ثبّتُّه بالشريط المتري في زاوية وعلبة الأقلام في الأخرى.

–ينقصه جزؤك –قلت لنوا–. ما هو من النافورة إلى هناك. أنا من تلك الشوارع لا أعرف إلّا الأمتار.

هذه الجملة لم أتدرّب عليها. كنت قد فكّرت فيها، وهذا مختلف: أثناء العرض، مطلًّا من النافذة، بين «مُرْتَجَع» السادسة والسابعة.

نظرت نوا إلى خوليتا. ونظرت خوليتا إلى السقف، وهذه طريقتها كي لا تتدخّل، ونظرت إليه باهتمام لم يستحقّه سقف المتجر قط.

–هل يمكنني أن أرسم عليه؟

–لهذا أُريكه.

دفعت المخطّط نحوها بيدي الاثنتين. أخرجت نوا القلم من خلف أذنها وأبقته لحظة مرفوعًا، دون أن يلمس الورقة، كما تبقى اليد قبل أن تطرق بابًا ليس بابها. ثم نزلت.

كانت أوّل مرّة يلمس فيها قلم آخر تلك الورقة. وكلّما نزل الطرف الفيروزي ضغطت الشريط المتري أكثر على زاويته، مع أن المخطّط لم تكن لديه أي نيّة للذهاب. انتبهت خوليتا ولم تقل شيئًا، وهذه، عند خوليتا، طريقة صاخبة جدًّا في الانتباه.

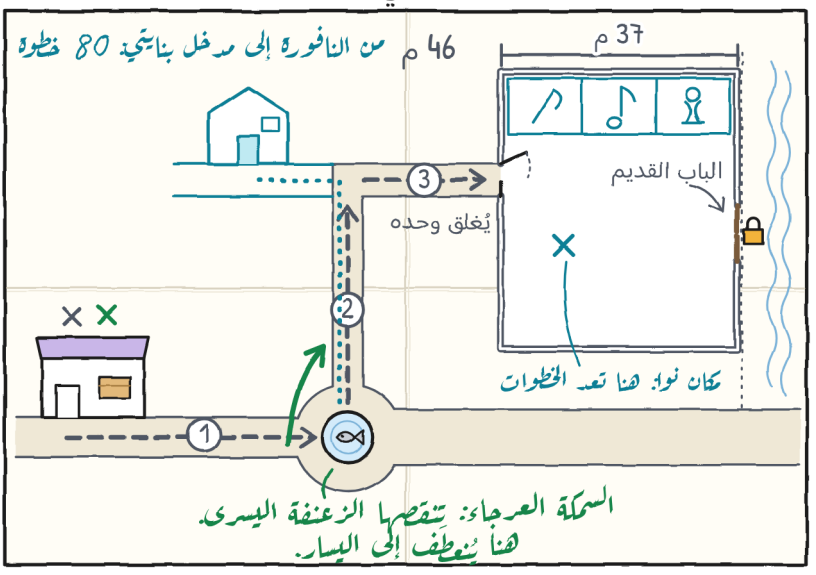
أضافت شارعها، والمركز من الداخل، بالقاعة والفناء والممر الذي يصل بينهما، والمسافات بالخطوات. وتكتب صغيرًا ومستقيمًا، كأن كل حرف يجب أن يتّسع في بلاطة. وكنت أضع الأمتار بجانبها. «من النافورة إلى مدخل بنايتي: 80 خطوة»، كتبت هي، وأنا بجانبها: «46 م». ثمانون في ثمانية وخمسين تساوي ستّة وأربعين ومعها أربعون. قرّبت نحو الأسفل، تأدّبًا. وفي مخطّطي كانت هناك، لأوّل مرّة، وحدتان، ولا واحدة منهما

خاطئة. وفي الفناء رسمت نوا علامة صغيرة فيروزيّة: «مكان نوا: هنا تعد الخطوات».

لم تحتمل خوليتا أكثر. فتحت غطاء القلم وكتبت قرب النافورة، بالأخضر ودون أن تستأذن: «السمكة العرجاء: تنقصها الزعنفة اليسرى. هنا يُنعطف يسارًا». وفي المتجر وضعنا علامتين صغيرتين، واحدة بالرصاص وأخرى خضراء، متلاصقتين حتّى إنّهما تتلامسان.

وفي أعلاه كان المخطّط يسمّى مخطّط غوني. وتحته كتبت الاسم الجديد: مخطّط الحي (للثلاثة). كان القوس فكرتي. الأقواس أفضل ما أُجيده.

مخطّط الحي (للثلاثة)



وبينما كانتا ترسمان حكتا لي قصّة السمكة العرجاء. حكتاها كلتاهما في وقت واحد، واحدة على كل جانب من المنضدة،

وكنت أنتقل من واحدة إلى الأخرى برأسي كما يُنظر إلى مباراة من عند الشبكة. وهي طويلة. وليست جيّدة كما يقولان. لكنّي الآن أعرفها.

هي رائعة. لكنّنا حكيناها بشكل سيّئ. راس كل مرّة على كلام الآخر. – غ.



كانت خوليتا تلف الشريط حول معصمها منذ الظهر. وقد انحلّت منه ثلاثة خيوط. عددتُها لأنّها كانت تعدّها هي أيضًا، بصوت منخفض، كلّما علق أحدها بجيب صدريّتها.

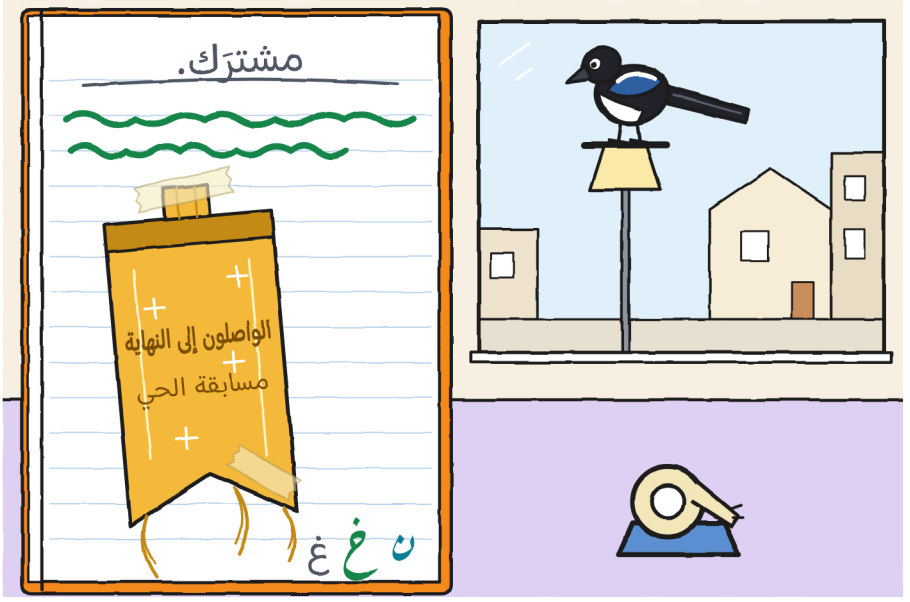
–إذا احتفظت به أنا، فيوم الاثنين يصير هدبًا –قالت–. هل نحفظه في الدفتر؟

ألصقناه في الصفحة الأولى، تحت «مشترَك» وتحت الخط الأخضر الذي يشغل نصف الورقة، بقطعة شريط لاصق عند كل طرف. أمسكت نوا طرفًا، وخوليتا الآخر، ووضعت أنا القطعتين، مستقيمتين. استقرّت العقدة في الأعلى، منتفخة قليلًا؛ وكان اللمعان يغيّر مكانه كلّما قلّب أحدهم الصفحة المجاورة. وفي زاوية وضعنا ثلاثة أحرف أولى صغيرة: غ، بالرصاص؛ وخ، بالأخضر؛ ون، بالفيروزي.

أغلقت الدفتر لأجرّب. كان يُغلق بصعوبة أكبر: العقدة تنتفخ والغلاف يبقى مرفوعًا قليلًا من زاوية، مثل مَن لا يريد أن يذهب. دوّنت «عيب» على الهامش ثم محوتُها.

رسمتُه بخيوطه المتدلّية. وإذا تفكّك فسيتفكّك: لن أرسمه أجد ممّا هو.

من خلف الزجاج كان العقعق الذي على السور ينظر إلينا من عمود الإنارة. كان ينظر إلى الشريط، لا إلينا. لاحظت ذلك لأنّي، لو كنت مكانه، لنظرت إلى الشيء نفسه.



دفتري لا يُغلق جيّدًا مثل دفترك. لهذا. — خ.

قلّبت نوا الصفحات إلى الوراء. استأذنت أوّلًا، بيدها المفتوحة فوق الدفتر دون أن تلمسه، فأومأت برأسي أن نعم. قلّبتها ببطء، صفحة صفحة، دون أن تتجاوز أيّة صفحة: مقياس الثلاثاء، والصف الأخضر من الأربعاء، والصفحة الأخيرة بقطعة السور ونصف القفل، والخانة الجديدة من الخميس. ووصلت إلى زاوية الشَّرطات.

–وما هذا؟

كانت يدها على المسافة المضبوطة لتغطيته. لم أحرّكها.

–حساب كنت أخطئ فيه.

–وهذا الآخر؟ –قرأت بصوت عال–: «البوّابة يمكن أن يمسكها حجر أيضًا».

–فكّرت في هذا يوم الثلاثاء.

توقّفت خوليتا عن هز ساقها على المقعد. ورفع تونيو، من صندوقه، نظره عن الساعة، التي لم تكن تقيس شيئًا.

–الحجر لا يقول «حافّة رصيف» –قالت نوا–. ولا «قِف» خمس عشرة مرّة.

قالتها كما تقول الأشياء، تعد. ثم قلّبت الصفحة إلى الأمام، إلى الشريط مرّة أخرى، كمَن يترك كتابًا حيث وجده.

لم أمح الشَّرطات. بالقلم الرصاص يمكن، لكنّي لم أُرِد. وتحت الجملة رسمت حجرًا صغيرًا، بفقاعة كلام. وتركتُها فارغة.

لا تمحها. هي لي قليلًا. – خ.



يوم الأحد، عند الفجر، كانت نوا تراقب، وهي تسكن قبالة المركز. وفي التاسعة أحضرت إلى المتجر ورقة. وكانت تأتي وهي تعد الخطوات؛ كان يظهر ذلك على شفتيها. كانت مطويّة إلى ثلاثة

أجزاء متساوية؛ تحقّقت. وكان فيها، بالفيروزي وبخط صغير مستقيم:

- 7:38: المسرح الصغير، في الورشة، مطويًّا.
- 7:44: طلع الفجر. لا يتحرّك.
- 7:50: لا يزال. الخطوات التي خطاها: صفر. –نوا

تراقب أفضل منّي، وتعد أفضل منّي، ولا تخبز. اثنان من ثلاثة. – خ.

رفعت مارا باب المتجر المعدني إلى النصف لتتركنا نمرّ، ورسمت الرف: أربعة عشر طردًا وستّة أماكن فارغة، متتالية، من 1 إلى 6، مثل الأسنان التي تسقط بالترتيب. أمّا اللافتة فلم يكن لازمًا أن تُمَس.

–ستّة –قالت مارا. وأغلقت كتابها.

كان تونيو على صندوقه، وعلى رأسه الخوذة، مع أنّه كان يوم أحد. وبقيت نوا واقفة، بجانب الباب. ولم يقل لها أحد أن تجلس ولا أن تذهب. جاءت لأنّها أرادت، ويوم الاثنين لديها تدريب.



لإنهاء الدفتر رسمت نافذة المسرح الصغير، فارغة.

رسمتُها بالمسطرة: الإطار، والستارة القصيرة مجموعة إلى جانب، والخشب بعروقه. وفي الداخل، لا شيء. كانت أوّل نافذة في الأسبوع لا يمر منها أحد صدفة، وبدا لي عدلًا أن أتركها هكذا لحظة، كما يُترك باب مفتوحًا حين يُسمع أحد على الدرج.

رسمت نفسي أوّلًا، بالرصاص، في جانب، وهو المكان الذي أقف فيه في الصور. أن يرسم المرء نفسه هو أصعب ما يكون: لا يمكن أن يقيس من الخارج. خرجت جادًّا وشعري مرتّب، وليس كما أحمله، بل كما أحب أن أحمله. لم أصحّحه. وتركت مكانًا زائدًا.

ثم تركت الدفتر مفتوحًا على المنضدة، في وجهيهما، والقلم معترض فوقه. لم أقل لماذا. ومارا، خلفنا، لم تنظر: شرعت في ترتيب قوارير الحبر باهتمام لم تكن بحاجة إليه.

استأذنت نوا قبل أن ترسم في دفتري. أمّا خوليتا فلا.

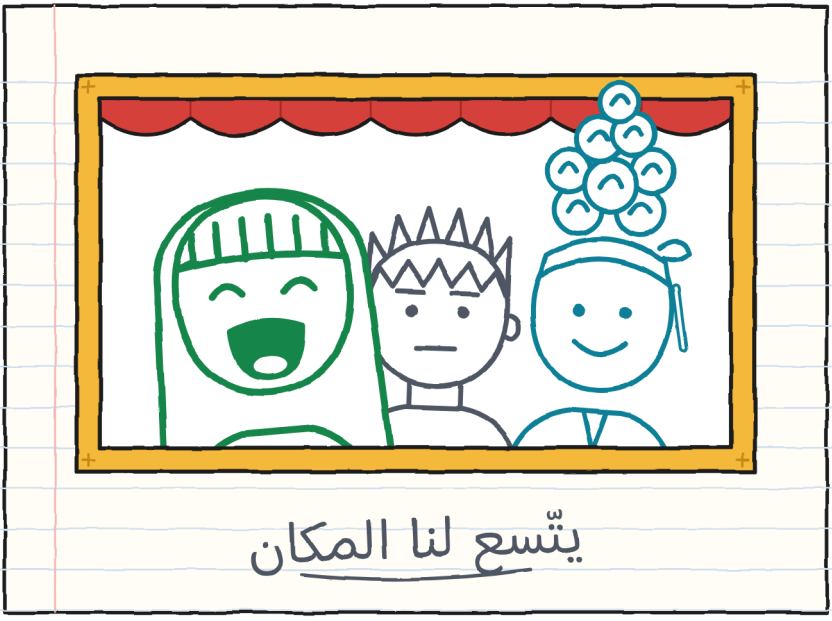
رسمت خوليتا نفسها بالأخضر، بفم مفتوح وأكبر من الاثنين الآخرين، لأنّها، كما قالت، تشغل أكثر في الحياة الحقيقيّة أيضًا. وقاست نوا بإصبعين الفراغ المتبقّي، كما تقيس الأشياء الصغيرة، ورسمت نفسها فيه، بالفيروزي. وخرجت عقصتها من الإطار من الأعلى. لم تصحّحها. الإطارات تضيق على نوا من الأعلى، وهي تعرف ذلك.

كنّا قد اتّسع لنا المكان في النافذة الحقيقيّة، يوم السبت، متراصّين. وفي نافذة الورق، التي رسمتُها بمكان زائد، تراصصنا كذلك. المكان الزائد لم يستعمله أحد.

وتحته، بالرصاص، كتبت كلمة:

يتّسع لنا المكان.

المشترك مشترك. هذا مكتوب في الصفحة الأولى. — خ.



بقي الجدول، الذي يُنهي كل دفاتري. هذه المرّة رسمتُه مقطعًا مقطعًا، وهكذا قِيس الأسبوع كلّه.

التسليم رقم 6. مقطعًا مقطعًا (مَن كان يحمل · مَن كان يوجّه · ما الذي وجب أن يُعاد):

- المتجر ← نافورة السمكة العرجاء: غوني ونوا · خوليتا · الانعطاف عند النافورة (ثلاث مرّات).
- النافورة ← الزاوية: خوليتا ونوا · غوني · لا شيء (لكن ببطء).
- الزاوية ← الفناء: غوني وخوليتا · نوا · المدخل: كانت الخريطة قديمة.
- يوم السبت: نحن الثلاثة · نحن الثلاثة، بالتناوب · الحزام (في المرّة الثانية، في الثقبِ الثالث).

- قبلنا: مارا، وحدها · لا أحد · تسع رحلات.
- ر.: ؟ · ؟ · لا نعرف.

وفي الأسفل رسمت مقياس الثلاثة، بخاناته الأربع الممتلئة والأسماء الثلاثة وقد تبدّلت أمكنتها.

ثلاث خانات. أو بالأحرى أربع. ثلاثة أسماء. ولا خانة فارغة. — خ.

توصيلات مستحيلة ٦٠

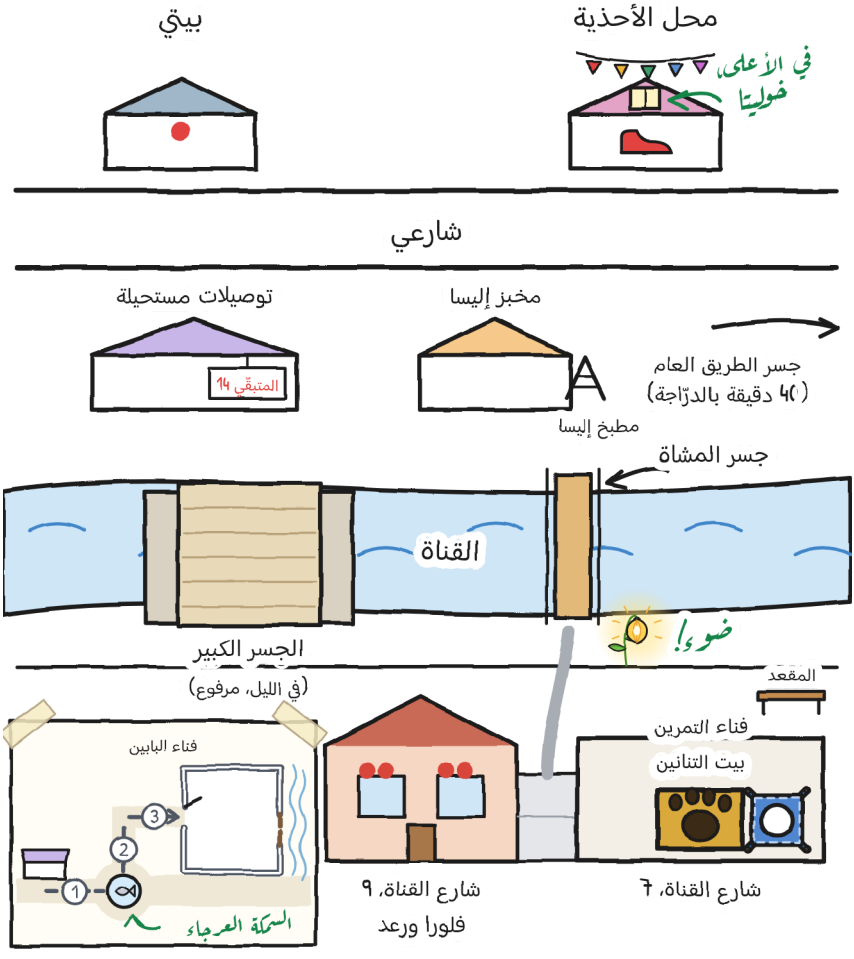
(قريبًا جدًّا)



هذه المرّة كانت البطاقة تطلب ساعة أكون فيها بالبيجاما أصلًا.

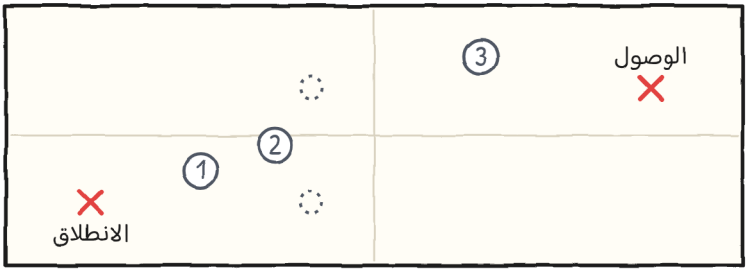
مَن يكون مستيقظًا حين يُغلق الآخرون؟ غيري أنا. — خ.

الحي (النسخة 6)



مسارك

مَن يحمل؟ مَن يوجّه؟ مَن يفتح الطريق؟ مَن ينبّه؟



مقياس الثلاثة

	الحمل	التوجيه	فتح الطريق	التنبيه
مقطع 1				
مقطع 2				
مقطع 3				

إذا ظهر في خانة الاسم نفسه دائمًا، فغيّره. — خ.

قصّة واحدة، ستة مقاسات

هذا الكتاب موجود بستة مقاسات، من 3 إلى 16 سنة، وبأكثر من 20 لغة. المقاسات XXS وXS وS وM وL تروي القصّة صفحة صفحة، بالرسوم نفسها وبتفاصيل أكثر في كل مقاس؛ أمّا XL فهو الرواية: القصّة نفسها، مع متّسع لكل ما يفكّر فيه غوني ولا يقوله.

مستويات الإطار الأوروبي المرجعي المشترك للّغات تقريبية:
.XXS, pre-A1 · XS, A1 · S, A2 · M, B1 · L, B2 · XL, B2–C1

كل واحد بمقاسه. والسرج الصغير نفسه. — خ.

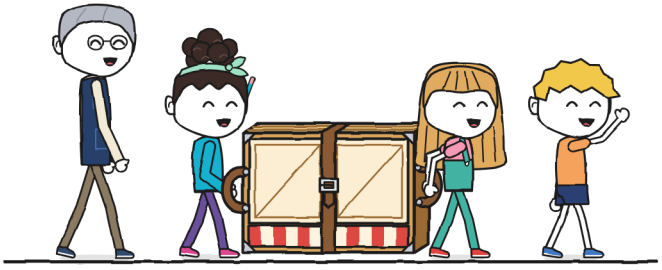
للعائلات والمعلّمين

تدرّب على كل فصل في موقع linguaula.com (مع أنشطة المقاس L)

نقل حقيقي: ماذا تفعل

1. قبل الانطلاق، تأمّل الطريق كلّه.
2. شخص واحد يسير حرًّا: يفتح الأبواب وينبّه.
3. اليدان على العُرى. بعيدًا عن المفصّلات والمشابك.
4. مع الحمل لا يُركض ولا يُتسابق.
5. إذا قال أحد «قِف»، توقّف الجميع.
6. أوّلًا يُوضَع الحمل على الأرض؛ ثم يُناقَش.
7. ما كان كبيرًا يُفتح ويُطوى بين اثنين، مع شخص بالغ.

ختم «في القصّة فقط» يشير إلى ما يمكن أن يحدث في قصّة، لا في نقل حقيقي.



وإذا كنت تعرف شيئًا عن الطريق، فقُله قبل ذلك. — خ.